جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم
(دراسة بلاغية)

إعداد
أحلام عبد الله سليمان صالح

إشراف
أ.د. خليل عودة

قدمتْ هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم
(دراسة بلاغية)

إعداد
أحلام عبد الله سليمان صالح

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 2012/2/28م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
- أ.د. خليل عودة	مشرفا ورئيساً	.....
- أ.د. يحيى جبر	ممتحناً داخلياً	.....
- أ.د. حسن السلوادي	ممتحناً خارجياً	.....

الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة التي غمرتنا بحنانها وهي حيّة، وجمّعتنا بعطفها وهي ميتة...

إلى والدي الحنون حفظه الله...

إلى من رافقني مسيرة العلم فكان نعم السند زوجي الحبيب...

إلى فلذة كبدي ولدي الحنون رعاه الله...

إلى جوهرة القلب ابنتي الحنونة...

إلى أمي الثانية عمتي الغالية...

إلى العائلة التي غمرتني عطفا ومحبة عائلة عمي أبي يوسف...

إلى من زرعوا في قلبي الطيبة والحنان إخوتي وأخواتي...

إلى أستاذي الفاضل صاحب الرأي السديد الأستاذ الدكتور خليل عودة...

إلى كل من علمني ، وكان له فضل عليّ...

إلى كل من نطق كلمة التوحيد مؤمنا بها....

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي هذه.

شكر وتقدير

أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور "خليل عودة" بارك الله فيه، وجـــزاه خيرا على ما قدمه من جهد في الإشراف على هذه الرسالة، فقد كان وما زال نعم العون فـــي إرشاداته فلولا عمله و توجيهاته السديدة وملاحظاته التي أثرت هذه الرسالة لمـــا خرجـــت إلى النور.

وكما أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ الفاضل أ. د " حسن السلوادي" وأســـتاذي الفاضـــل أ. د "يحيى جبر" اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة، وأفاداني بتوجيهاتهما.لهما مني خالص التقدير.

ولكل من له أدنى فضلٌ في إنجاز هذا العمل جزيل الشكر العرفان.

سائلة المولى عز وجل - أن يحفظهم جميعا وأن يجزيهم عن العلم وأهله خير الجزاء.

إقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان: **صورة الحيوان والطير فـــي القـــرآن الكريم (دراسة بلاغية)**

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وان هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أيـــة درجـــة أو لقـــب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name: **اسم الطالب:**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
إقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
المقدمة	1
الفصل الأول: الحيوان والطير عند العرب قبل الإسلام	3
مدخل ...	4
• **المبحث الأول**: صورة الحيوان.	4
• **المبحث الثاني**: صورة الطير.	27
• **المبحث الثالث**: علاقة الصورة بالحياة العربية.	35
• **المبحث الرابع**: علاقة الصورة بالإنسان العربي.	34
الفصل الثاني: توظيف الصورة في القرآن الكريم	48
مدخل ...	48
• **المبحث الأول**: الصورة مكررة.	50
• **المبحث الثاني**: الصورة المفردة.	57
• **المبحث الثالث**: الصورة المركبة.	63
• **المبحث الرابع**: الصورة المجازية.	71
• **المبحث الخامس:** الصورة الرامزة.	86
• **المبحث السادس: جمالية اختيار الألفاظ وتناسق الصور**	88
الفصل الثالث: علاقة الصورة بالدلالة والمضمون.	97
مدخل ...	97
• **المبحث الأول**: العلاقة الدينية.	97
• **المبحث الثاني**: العلاقة الفنية.	112

• **المبحث الثالث**: علاقة نفسية متوارثة	139
الخاتمة	142
المراجع والمصادر	144
الملخص بالإنجليزي	b

صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم

(دراسة بلاغية)

إعداد

أحلام عبد الله سليمان صالح

إشراف

أ.د. خليل عوده

الملخص

تتناول هذه الدراسة صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم، وذلك وفق المنهج البلاغي الذي يكشف أسرار التعبير القرآني والإعجاز البياني في أسلوبه، وتمتاز هذه الدراسة بأنها دراسة تحليلية وتطبيقية.

والدراسة موزعة على ثلاثة فصول فيها من التسلسل والترابط ما يجعل القارئ يتابع الموضوع من أصولهحتى فروعه . وهي على النحو الآتي: -

1. **الفصل الأول**: يتناول الحديث عن الحيوان والطير عند العرب قبل الإسلام، وقد بينت فيه صورة الحيوان في الشعر الجاهلي، ثم انتقلت إلى صورة الطير ثم توصلت إلى علاقة هذه الصور بالحياة العربية والإنسان العربي.
2. **الفصل الثاني**: وتناولت فيه توظيف الصورة في القرآن الكريم وذلك من خلال التركيز على الصور المكررة التي تحدثت فيها عن تكرار الألفاظ الدالة على الحيوان أو الطير، ومن ثم تكرار الصفات الخاصة. وانتقلت إلى الصورة المفردة، فالمركبة، فالمجازية، فالرامزة .
3. **الفصل الثالث**: تناولت فيه علاقة الصورة بالدلالة والمضمون، حيث ركزت على العلاقة الدينية، فالعلاقة الفنية، فالاجتماعية .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبعد...

ضرب التعبير القرآني مثلا عظيما في الإبداع اللغوي، ففي طياته نجد أروع الصور الفنية. الصور التي أدهشت العرب وحيرت ألبابهم وسلبت عقولهم بسحر بيانها وروعة معانيها ودقة ائتلاف ألفاظها ومبانيها. مما دفع كثيرين من الدارسين إلى تناول أساليبه البلاغية، وصوره البيانية فذهبوا في دراسة القرآن مركزين على دلالاتها المختلفة فكان بذلك حظه من الدراسات وافرا. حيث تعددت الدراسات التي تناولت مواضيع مختلفة منه.

قد كان لي في هذا البحث وقفة مع ألفاظ الطير والحيوان التي أخذت مكانها في كتاب الله عز وجل، فتناولها الدارسون بشيء من الاهتمام، حيث تناول بعض الدارسين القصص التي دارت حول الطير والحيوان في كتاب الله.[1] كما خصص لها بعضهم جزءا من دراسته، وأشار إليها بعضهم الآخر إشارات بسيطة في معرض حديثه عن الإعجاز القرآني بشكل عام.

أثار هذا الموضوع اهتمامي؛ لما يحمله من جماليات بلاغية، فكلما استوقفني موضع من المواضع التي ذكر فيها الطير والحيوان في كتاب الله عز وجل فكرت مليا في تلك الألوان الوردية التي ينثرها هذا اللفظ أو ذاك ، فتزيد هذه الألوان تلك الصور جمالا على جمالها، ولكثرة هذه المواضع في القرآن الكريم، وجدت نفسي منجذبةً نحو دراستها دراسة بلاغية. فالمتدبر لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[2] يرى أن هذه المخلوقات تستحق الدراسة، فالإنسان لا يعيش وحده على هذه الأرض.

ومن حماستي لهذا الموضوع بدأت أعيش مع آيات القرآن الكريم، أفتش في ثناياها عن المواضع التي ذكر فيها الحيوان والطير فأمعن النظر فيه، حتى يعمل العقل مع القلب في فهم

---

[1] . انظر الشعراوي، محمد متولي: "قصص الحيوان في القرآن"، ط1، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1999: 85 232.

[2] . الأنعام آية 38

هذا الجمال الذي ينبعث من هذه الآية وتلك. وفي معرض البحث والتنقيب في كتاب الله الكريم، وتبعا لذلك تناولت في الفصل الأول من دراستي صورة الطير والحيوان عند العرب قبل الإسلام، وذلك من خلال البحث في صورة الطير والحيوان، وعلاقة الصورة بالحياة العربية، الإنسان العربي.

وفي الفصل الثاني، تناولت توظيف الصورة في القرآن الكريم بدءا بالصور المكررة، ومن ثم الصور المفردة، فالصور المركبة، فالصور المجازية، فالصور الرامزة. أما الفصل الثالث فقد خصصته للبحث في علاقة الصورة بالدلالة والمضمون، حيث ركزت على العلاقة الدينية، والعلاقة الاجتماعية، والعلاقة الفنية. كما لخصت في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصلت إليها.

وكانت كتب البلاغة والدراسات القرآنية خير معين لي في هذه الدراسة، وأهم المراجع التي أفدت منها "أسرار البلاغة " لعبد القاهر الجرجاني، و"في ظلال القرآن" لسيد قطب، و "تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي. و" تفسير التحرير والتنوير" لابن عاشور، و"روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني" للألوسي و "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، و"جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري.

وتنبع أهمية الدراسة من تناولها لصور الحيوان والطير تناولا بلاغيا مفصّلا، فقد ركزت هذه الدراسة على تحليل الصورة وسَبْرها من خلال التركيز على الألفاظ والتراكيب على حدّ سواء. حيث ناقشت عددا من الصور الفنية التي كان للحيوان والطير نصيب فيها، فساعدت على إثراء الدراسات البلاغية بإفراد هذه الدراسة المستقلة لصورتي الحيوان والطير.

وفي الختام أسأله تعالى أن يجعل ما قدمته من عمل في ميزان حسناتي، وأن يمن عليّ بالرضا، وإن يعفو عن زلاتي، فإن ما في هذا البحث من خطأ مرده إلى نفسي، وما فيه من إحسان فمن الله وحده لا شريك له.

الفصل الأول

المبحث الأول: صورة الحيوان عند العرب قبل الإسلام:

المثالية في صورة الحيوان المنزلي

الواقعية في صورة الحيوان المنزلي

المثالية في صورة الحيوان الوحشيّ

الواقعية في صورة الحيوان الوحشيّ

المبحث الثاني: صورة الطير عند العرب قبل الإسلام:

صورة الطيور الجارحة

صورة الطيور غير الجارحة

المبحث الثالث: علاقة الصورة بالحياة العربيّة:

تأثير البيئة الطبيعية.

تأثير البيئة الاجتماعية.

المبحث الرابع: علاقة الصورة بالإنسان العربي:

مبادئ العربيّ وأخلاقه.

تعلق العربيّ بالصحراء وحبّه للطبيعة.

الفصل الأول

صورة الحيوان عند العرب قبل الإسلام

مدخل...

عرف الجاهلي أنواعا مختلفة من الحيوان فمن الحيوانات ما عاش قريبا من الإنسان لا يفارقه أينما حلّ كالإبل والخيل، ومنه ما عرفه في رحلاته المتكررة في أرجاء الصحراء كالثيران والبقر الوحشية والظباء والأسود والحيات والحمر وغيرها.

وعند الحديث عن صورة الحيوان عند العرب قبل الإسلام لا بد أن نقف عند مكانة الحيوان في حياة الجاهلي، فقد ظلت للحيوان -على اختلاف أنواعه- مكانة محفوظة عند الجاهليين. "فالعربي كان يعتقد بعلاقة بينه وبين الحيوان".[1] وهي علاقة جعلته يعتني به ويؤثره على نفسه وولده، فلولا هذه العلاقة ما كان ربيعة بن مقروم[2] يمنح الخيل مكانة تفوق مكانة العيال في قوله:

وجُرْدا يُقرَّبْنَ دونَ العِيالِ خِلالَ البُيوتِ يَلُكْنَ الشَّكيما

تُعوّدُ في الحربِ أن لا بَراحَ إذا كُلِّمَتْ لا تَشَكّى الكُلوما[3] **(المتقارب)**

ولم يحظ الحيوان بتلك الرعاية وهذا الاهتمام من فراغ، فقد اعتمد الجاهلي عليه كثيرا في حله وترحاله، وطعامه وشرابه، وسلمه وحربه، و قدّسه في كثير من الأحيان، ففيه وجد الصديق كما وجد العدو. فبينما كانت الإبل والخيل صديقين حميمين له، كانت ذئاب الصحراء وثعابينها أعداء ألداء.

---

[1] . خان، محمد عبد المعطي: **"الأساطير العربية قبل الإسلام"**، القاهرة : 1937م: 70

[2] . ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي من شعراء الحماسة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام وفد على كسرى في الجاهلية وشهد بعض الفتوح في الإسلام وحضر القادسية. راجع: "الزركلي، خير الدين : "الأعلام" ط3: ج3\43

[3] . الضبي، محمد بن يعلي بن عامر بن سالم : **"المفضليات"** تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004: 108. الشكيما: لسان اللجام. كُلّمت: جرحت. تشكّى: تتشكى.

وقد استحوذ الحيوان على وجدان الجاهلي فنظم فيه شعرا ورسم له صـــورا متعـــددة، اختلفت تبعا لاختلاف نوع الحيوان وعلاقة الجاهلي به، فقد هيأت الحياة في الصحراء، والقرب من هذا الحيوان للجاهلي سبل الحديث عنه بكل أنواعه.

كما أثرت مجموعة من العوامل علـــى صـــورة الحيـــوان، وكـــان أهمهـــا الأفكـــار والمعتقدات، فبعض الحيوانات ارتبطت عندهم بمعتقدات دينية تناقلوها جيل بعد جيل، ولم يكن الموروث الديني المؤثر الوحيد، فحياة الجاهلي في صحراء مقفرة موحشة يتردد فـــي أرجائهـــا صوت الجن، وعزيف الرمل، وتكثر في متاهاتها الوحوش، وتشتد فيها الخصومة علـــى المـــاء والكلأ، مما دفع الجاهلي إلى التنويع في صورة الحيوان، فبعض الحيوانات ساعدت في التغلـــب على ظروف الصحراء القاسية، كالخيل والإبل، حيث اعتمد عليهما الجـــاهليّ للمحافظـــة علـــى وجوده في هذه الصحراء، لذلك خصهما بالعناية والرعاية، و تحدث عنهما بمثالية تناسبت مـــع حجم الحاجة إليهما، وبجانب تصويره لهذين الحيوانين وغيرهما تصويرا مثاليا كان التـــصوير الواقعي الذي صوره لبعض الحيوانات، كصورة الكلاب والأغنام والأسود والنمـــور والثعالـــب والذئاب وغيرها. و يمكننا تقسيم صور الحيوان عند الجاهلي على النحو الآتي:

***أولا- الصور المثالية للحيوان المنزلي:**

تعلق الجاهليون بالحيوان المنزلي واعتنوا به عناية فائقة، وذلك لحاجتهم الملحـــة إليـــه، وعدم قدرتهم على الاستغناء عنه. "فالعرب كغيرهم من الأقوام الذين تعلقوا بحب هذه الحيوانات فقربوها وأعزوها ومنحوها رعايتهم وعطفهم، ولم تكن ظروفهم في جزيرتهم قـــادرة علـــى أن يعيشوا بمعزل عنها، فندرة النبات كانت الدافع الحقيقي الذي دفع القبائل إلى عدم الاعتماد فـــي حياتهم على ما تنتجه الأرض فقط، ودفعهم إلى استغلال كافة الموارد على أية طريقـــة كانـــت فاضطروا إلى أن يجعلوا الحيوان عماد حياتهم، متنقلين وراء ماشيتهم من مرعى إلـــى مرعـــى يقيمون أودها ويحفظون حياتهم ويقون بها أنفسهم من هلاك محقق"[1]. ومـــن أهـــم الحيوانـــات المنزلية التي حازت على نصيب كبير من عناية العرب:

---

[1]. القيسي، نوري: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: ط1، ، دار الأرشاد، بيروت، 1970م: 95

الإبل:

وعلى الرغم من حبّ العرب للحيوان المنزلي واعتنائهم به، لم تكن صورته عندهم واحدة، فقد حازت الإبل والخيل على النصيب الأكبر من العناية والرعاية. "ولقد كانت الناقة لأسباب كثيرة - حيوان الصحراء العربية الأول وكانت ثروة الرجل منهم تقاس بما عنده من مال -أي إبل - وكانت القبيلة تجعل لإبلها علامات خاصة تميزها من إبل القبائل الأخرى"[1].

وتعدّ الناقة من أبرز الحيوانات التي استحوذت على الشعر الجاهلي بشكل عام، وذلك كونها أقرب الحيوانات إلى الجاهلي، وأكثرها أهمية في حياته، "فالناقة هي الأم الرءوم للبدوي، سفينة صحرائه، ومركبه إلى آماله الضخام في مراعي الجزيرة، وعند الملوك العظام، تصبر على الجدب والجفاف حتى تحمله إلى الخصب والمرابع والأمواه، وتمده في رحلاته الطويلة وسط القفار والبيد بطعامه إن جاع، وشرابه إن عطش ومسكنه إن كان في حاجة إيواء".[2] "والجمل هو الحيوان الوحيد الذي رضي بمرافقة الأعراب وبمشاطرتهم حياتهم في البوادي . ألفهم وعاشرهم وشاركهم في مسراتهم وفي أحزانهم، صابراً راضياً، حملهم ويحمل أثقالهم، لا يسألهم على ذلك أجراً، وهو مع ذلك طعامهم إذا جاعوا، أو شعروا انه قد مرض مرضاً لا يرجى شفاؤه،أو انه قد كبر وأسن، فصار لا يصلح للعمل، ومن وبره صنعوا خيامهم .وهو قنوع يقنع بالقليل ولا يطالب بالكثير .ويصبر على العطش والجوع، لا يباريه في هذا الصبر أي حيوان من الحيوانات التي ألفت الإنسان وقاسمته حياته..."3

دخلت الناقة قلب الجاهلي فأحبّها، واتخذها صديقة، فشاطرها همومه، وأحس بها وعبّر عنها، ورسم لها لوحات وقف بها عند الجانب الحسي منها. " إن الجانب الحسي من الناقة مهوى أفئدة الشعراء ومحط أبصارهم وباعث السحر على ألسنتهم أو ما يشبه السحر يتفجر منها الشعر رقيقا طيبا تفجر الماء من الصخور المتصدعة عذبا صافيا رقراقا".[4]

---

[1]. رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: ط2 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م: 19

[2] . شلبي، سعد إسماعيل : **الأصول الفنية للشعر الجاهلي**: مكتبة غريب، الفجالة،329.

[3] . علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** ط1، دار العلم للملايين، بيروت: ج7\ 112

[4] . رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: 63.

ومن الملاحظ أن الناقة عند الشعراء الجاهليين قد تشابهت أوصافها، وإن اختلفت في حقيقتها، ففي ناقة امرئ القيس شيء من ناقة طرفة والأعشى. و"يعرف قارئ الشعر الجاهلي حرص الشعراء الشديد على طائفة من الصفات يوفرونها لإبلهم كالصلابة والقوة والامتلاء والضخامة أو الضمور والشدة و السرعة والبزول والأدمة والصبر والإمساك عن الشكوى، على ضنك الوطن وقسوة الساعة..."[1]

تظل الصفات التي يخلعها الشعراء على نياقهم واحدة وتتشابه الكلمات كما تتشابه الصفات، فهم يدورن في إطار لغوي ضيق يشتركون فيه ويتساوون.[2] فكل من طرفة بن العبد والأعشى يلتقيان في تصوير نوقهم، حيث يرفعان من شأن الناقة، ويلبسانها أعظم الصفات. فهي قوية وجريئة عند كل منهما. يقول طرفة في ناقته:

وبِلادٍ زَعِلٍ ظِلْمَانُها كالمَخاضِ الجُرْبِ في اليْومِ الخَدِر.

قد تَبَطّنْتُ وتَحتي جسرةٌ تتّقي الأرضَ بمَثلومٍ مَعِرْ.[3] **(الرمل)**

أما الأعشى فيقول:

وبلدةٍ مثلِ ظهرِ التُّرْسِ موحشةٍ للجِنّ باللّيلِ في حافاتها زجلُ

لا يتمنّى لها بالقَيظِ يركبها إلا الّذين لهم فيما أتوا مهلُ

جاوزتُها بطليحٍ جسرةٍ سُرُحٍ في مرفقَيها إذا استعرضتها فتلُ[4] **(البسيط)**

---

[1] . السابق: 63

[2] . رومية، وهب: **"الرحلة في القصيدة الجاهلية"**: 64 .

3 . طرفه، **ديوانه** /42. الجسرة: الناقة القوية الهيكل. المثلوم: خف البعير إذا انكسر. معر: إذا ذهب شعره. زعل: أي نشيط فيه حيوية وطاقة. الظلمان: جمع ظليم وهو ذكر النعام. المخاض: هن النوق الحوامل. يوم الخدر: أي يوم البرد الشديد.

4 . الأعشى، **ديوانه** 151. لا يتنمى: لا يسمو إلى ركوبها. القيظ: الحرّ الشديد. الطليح: الناقة التي تعبت من شدة السير. الفتل: تباعد مرفقي الناقة عن زورها.

ومن هنا يمكننا القول إن الصورة التي رسمها الشعراء للناقة من الجانب الحسي تكاد تكون صورة واحدة تداولها الشعراء بينهم، كما نتداول العملة النقدية، وهذا راجع إلى تشابه الإبل من الناحية الشكلية أولا، وطبيعة البيئة التي ضمت هؤلاء الشعراء ثانيا، وتقديسهم للناقة ثالثا.

ومع عناية الشعراء بتصوير الجانب الحسي للناقة، ظهر الاعتناء بالجانب المعنوي، "فلئن لهجت ألسنة الشعراء وقلوبهم بوصف نياقهم حسيا وانتشر هذا الوصف عليها انتشار أحاديث الحبّ والصحراء، فإن قلوبهم قلما خفقت بمشاعر تلك الإبل وأحاسيسها، وما يعتري نفوسها الواجفة من حنين وشوق"[1]. بالرغم من قلة اللوحات التي صور بها الشعراء الجانب المعنوي للناقة، إلا أنها لوحات عكست عمق الإحساس بها، والقرب الشديد منها، فها هو علقمة يصور خوف ناقته من السوط قائلا:

تُلاحِظُ السَّوْطَ شَزَرا وهي ضامزةٌ كما تَوَجَّس طاوي الكَشْحِ مَوْشُومُ[2] **(البسيط)**

وأما الأعشى فيحث ناقته على الاصطبار عندما يضيق صدره من توجعها وشكواها، فنراه يتحدث إليها كما يتحدث مع أبناء جنسه، فالناقة للعربي صديقة مخلصة، بل هي أكثر إخلاصا من الإنسان نفسه:

فلا تشتكِنّ إليَّ الوَجى وطولَ السُّرى واجعَليهِ اصطبارا[3] **(المتقارب)**

ويلتقي المثقب مع الأعشى بهذا الإحساس فقد صور حال ناقته حين ضاق صدرها بكثرة حلّه وترحاله، كأنه يصور إنسانا مفعما بالمشاعر فقال:

إذا ما قمتُ أرْحُلها بليلٍ تأوه آهةَ الرجلِ الحزين

---

[1] . رومية، وهب: **"الرحلة في القصيدة الجاهلية"**: 81.

[2] . ابن عبدة، علقمة **ديوانه** شرح وتقديم:سعيد نسيب مكارم،دار صادر، بيروت، لبنان: 1996م: 51. شرزرا: النظر بمؤخرة العين من حدتها. ضامزة: الضامة لحييها لا تجتر. الطاوي: الضامر. الكشح: الخاصرة وما انضمت عليه الأضلاع. موشوم: في قوائمه نقط سود.

[3] . الأعشى، **ديوانه** 83. الوجى: سير الحفاء. السُّرى: السير ليلا.

تقولُ إذا درأتُ لها وضيني أهذا ديْنُهُ أبَدَاً وديني

أكلَّ الدَّهرِ حَلٌّ وارتِحالٌ أما يُبقي عَلَيَّ وما يقيني[1] **(الوافر)**

والناقة تتحمل صاحبها كثيرا، فقد يضطر إلى هجر دياره أو البعد عنها فيصطحب ناقته أينما ذهب، وعندما يشتد بها الحنين إلى ديارها، تبدأ بالضجر من شدة الشوق، فيفهم صاحبها مقصدها، ولا يكون أمامه عندئذ خيار سوى كفها عن الضجر. فها هو عبيد بن الأبرص يصف حال ناقته عندما قرر البقاء بعيداً عن ديار الحبيبة بقوله:

وحَنّتْ قَلُوصِي بَعد وَهنٍ وَهاجَها مَعَ الشَّوْقِ يَوْمَاً بالحِجازِ وَمِيضُ

فَقُلْتُ لَها لا تَضْجَري إنّ مَنْزِلاً نَأَتْني بِه هِنْـــــــدٌ إليّ بغيضُ[2] **(الطويل)**

ولا غرابة أن تحتل الناقة مكانة عظيمة في قلب الجاهلي وشعره، "فقد روي أن جماعة الشاعر (زيد الخيل) وهم من طيء كانوا يتعبدون لجمل أسود"[3]. ولعل تلك المكانة للناقة دون غيرها من الحيوانات جاءت من هذا التقديس. كما أن الناقة ارتبطت عند الجاهلي بالخصوبة، لذلك ربطوا في كثير من أوصافهم بينها وبين النخلة، " ولعل الناقة هي أقرب الأشياء في ذهن الجاهلي من النخلة، لأنهما العِملة التي يملك، ودرُّهُما غذاؤه الأساسي، وكلاهما رمزٌ للصحراء وتحمل الهجير"[4].

الخيل:

تعد الخيل من الحيوانات التي أدت دورا أساسيا في حياة الجاهلي، فقد كانت فرسه القريبة المدللة، والغالية الأصيلة. عليها اعتمد في سلمه وحربه، فاحتلت مكانة كبيرة في حياته.

---

[1] . العبدي، المثقب: **ديوانه** شرح وتحقيق: حسن حمد، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م :65 -66. أرحله: اضع عليها الرحل استعدادا للسفر. درأت: دفعت وبسطت، ودرأت وطين البعير إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشدُّه به. الوطين للهودج بمنزلة البطان للقتَب.

[2] . عبيد بن الأبرص: **ديوانه** دار صادر ودار بيروت، 1964م: 88. الوهن من الليل: بعد منتصفه

[3] . علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1970م: ج6\ 60

[4] . أبو سويلم، أنور: **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي**: ، دار عمار، الأردن، عمان، 1991م: 75.

اعتنى بها فوصفها كما وصف ناقته، حيث "يتميز الأدب العربي ولا سيما الجاهلي منه عن سائر الآداب العالمية الأخرى بأنه عني بوصف الإبل والخيل عناية عجيبة"[1]

لقد فضل الجاهلي هذا الحيوان على نفسه وعياله، فاعتنى به عناية فاقت عنايته بـــالنفس والعيال. يقول القحيف العجلي[2]:

مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا يُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ ولاَ تُجَاعُ 3 **(الوافر)**

ولم يقف الجاهلي عند هذا التفضيل للخيول، لكنه أحبّها، وعظّمها. " وليس ذلك بعجيـــب منه؛ لأن الفرس كانت عدته في الحياة وذخيرته وقت الشدة، فعليها يعتمد في الحرب، ويستطيع، إن ساعده الحظ بوساطة خيله، أن يجلب لنفسه ثروة طائلة بفضل ما يشنه من غارات، وما تدره عليه من غنائم وأسلاب، وفي وقت السلم يمكنه بفرسه إن لم يكن قوته متيـــسرا - أن يحـــصل على طعام شهي لذيذ عن طريق الصيد والقنص"[4]

ومن دافع هذا الحبّ والتعظيم، وقف الجاهلي أمام أعز الأحباب، يكفّهم عن لومهم على العناية الزائدة بالخيل، ناصحا تارة ومهددا أخرى. فها هو عنترة يكف صديقته عن لومه قائلا:

لا تذْكُري مُهْري وما أطعَمْتُهُ فَيَكُونَ جلدُكِ مثْلَ جِلدِ الأجربِ

إن الغَبُوقَ لهُ وأنْتِ مسوءَةٌ فتأوَّهي ما شئْتِ ثمّ تحوَّبي[5] **(الكامل)**

---

[1] . القيسي، نوري حمودي: **"الطبيعة في الشعر الجاهلي"**: 96

[2] . رجل من بني تميم.

[3] . أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي: **"ديوان الحماسة"** شرح وتعليق: أحمد حسن بـــسج، ط1، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، 1998م: 38

[4] . الجندي، علي: **"شعر الحرب في العصر الجاهلي"**، مكتبة الأنجلو المصرية: 1\102

[5] . ابن شداد، عنترة: **ديوانه** شرح: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007: (21-22) الغبوق: شرب العشاء. مسوءة: محزونة. التحوّب: التوجع.

ولم يكتف العربيّ بهذه المكانة التي منحها للخيل، لكنه بالغ فسمّاها ونسبها كما ينسب أبناءه، "ومن إعزازهم للخيل أنهم سموها ونسبوها كما ينسبون رجالهم".[1] وليس غريبا أن يهتم العربي بخيله فيصورها أجمل تصوير، "فالفرس هو أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان، وأرشد الدواب عدوا وذكاء، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية، له صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له..."[2]

ولأن الخيل عزيزة على العربيّ، فقد نشأت بينهما علاقة قوية، فلم يستطع الفارس الاستغناء عن فرسه أو التفريط به، وقد يلجأ الفارس إلى حماية فرسه إن كلفه الأمر حياته، فالنفس تهون في سبيل هذا الصديق الوفي، فكلٌ من الفرس والفارس جندي يدافع عن صاحبه، ويحميه. يقول عنترة:

أدهَمٌ يصْدعُ الدُّجى بسوادٍ بين عينيهِ غُرّةٌ كالهِلالِ

يفْتديني بنَفْسهِ وأُفدّيـ ـهِ بِنَفْسي يوم القِتالِ ومالي[3] **(الخفيف)**

وقد يسوء الفرس صاحبه لكنّ هذا لا يمنع الفارس من الدفاع عنه، فهو على أتمّ الاستعداد للتضحية بنفسه في سبيل فرسه. يقول ثعلبة العبدي:

وإنّ عُريباً وإنْ ساءَني أحبُّ حَبِيبٍ وأدْنى قَريبْ

سأجْعَلُ نَفْسِي لَهُ جُنّةً بشَاكِي السِّلاحِ نَهِيكٍ أرِيبْ[4] **(المتقارب)**

لم تكن علاقة الفارس بفرسه علاقة عشق فحسب، إنما هي علاقة توحّد، فالفارس يشعر بفرسه، ويفهم نظراته، كأنهما يسكنان روحا واحدة. يقول عنترة:

---

[1] . الحوفي ، أحمد محمد: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**: نهضة مصر، الفجالة، 94.

[2] . الدميري، كمال الدين: **"حياة الحيوان الكبرى"** دار القاموس الحديث، بيروت،لبنان : 2/ 165

[3] . ابن شداد، عنترة: **ديوانه** شرح: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007: 158

[4] . الضبي، محمد بن يعلي بن عامر بن سالم :**"المفضليات"**: 145. الجُتة: بضم الجيم. الدرع. النهيك: الشجاع. الأريب: الداهية.

يدْعون عنترُ والرِّماح كأنّها أشطانُ بئرٍ في لِبانِ الأدهمِ

ما زلْتُ أرميهمْ بثغرةِ نحرِهِ ولبانِهِ حتى تسرْبلَ بالدّمِ

فازْورّ من وقْعِ القنا بلبانهِ وشكا إليّ بعَبْرةٍ وتَحَمْحُمِ

لوكان يدْري ما المُحاورةُ اشتكى ولَكَانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلّمي[1] **(الكامل)**

وفي حقيقة الأمر وجد العربيّ في الخيل الخير كله، لذلك ارتبط ذكرها في أشعاره بالمطر أوالسيل، "وغالبا ما تأتي صورة الخيل المسترسلة بصورة السيل العاتي أو المطر المنصب الذي يتلقاه الإنسان بخوف وتهيّب"[2]. فالخيل عندهم معقود بنواصيها الخير، وهذا مطابق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"[3] يقول امرؤ القيس:

الخَيْرُ ما طَلَعَتْ شمسٌ وما غَرَبتْ مُطَلّبٌ بنواصِي الْخَيْلِ، مَعْصُوبُ **(البسيط)**[4]

ومع عناية العربيّ بالخيل والإبل وإبداعه في الحديث عنهما، لم ينس غيرهما من الحيوانات التي كانت قريبة منه وعاشت في بيته، كالغنم والكلاب حيث جاءت هذه الحيوانات في المرتبة الثانية على سلّم الأولويات عند الجاهلي، فصورها مبدعا نماذج من الصور الواقعية لكل منها، وقد عكس في صوره معرفته العميقة بهذه الحيوانات فكان الحديث عنها أكثر واقعية من حديثه عن الخيل والإبل، ولعل هذا يعود إلى حاجته الماسة إلى هذين النوعين.

---

[1] . ابن شداد، عنترة: **ديوانه** : (19-20) الشطن: الحبل الذي يستقى به، والجمع أشطان. اللبان: الصدر. الثغرة: الرقبة في أعلى النحر، وجمعها الثُغُر. ازور: مال. الازورار: الميلان. التحمحم: صوت الفرس ما كان فيه حنين كي يرق لها صاحبها.

[2] . أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**: ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1987م: 197.

[3] . النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري: " صحيح مسلم"، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 3\1493

[4] . امرؤ القيس: **ديوانه** 75

ثانيا - الواقعية في صور الحيوان المنزلي:

تمثل صورة كل من الغنم والكلاب الصورة الواقعية للحيوان المنزلي، وهذا لا يعني أن الجاهلي قد صور هذين الحيوانين دون غيرهما من الحيوانات، ولكن اتخذنا منهما نموذجا على للصورة الواقعية للحيوان المنزلي.

أما الغنم فتشمل كل من الضأن والمعز، "فالضأن ذوات الصوف من الغنم"[1] و "المعز بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان نوع من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الشعور والأذناب القصار"[2].

عرف الجاهلي الغنم وعُني بها كما عُني بغيرها من الحيوانات، لكن الصورة التي رسمت لها لم تكن كصورة كل من الإبل والخيل، فقد شكلت صفة الضعف المعروفة في هذا الحيوان حاجزا حال دون الوصول إلى الصورة المثالية، فقد جاء في المثل العربي: "أذل من البذج"[3،4] .

ولعل هذا ما جعل الشعراء يشبهون أعداءهم بهذا الحيوان، فلم يجد طرفة بن العبد في هجائه لعمرو بن هند تصويرا جارحا يعكس ضعف عمرو أروع من أن يتمنى مكانه نعجة تصيح بجوار قبتهم، وتدر عليهم اللبن. حيث قال:

فليتَ لنا مَكانَ المَلْكِ عَمْروٍ رَغُوثاً حولَ قُبّتِنا تَخورُ[5] **(الوافر)**

ولعل ضعف الغنم، كان وراء تشبيه عامر بن الطفيل لخصمه بالضأن التي هاجمتها الذئاب، حيث يقول:

---

[1] . الدميري: **"حياة الحيوان الكبرى"** : 66/2

[2] . السابق:284/2

3 . البَذَجُ الحَمَلُ وقيل هو أَضعَف ما يكون من الحُمْلان. **اللسان** مادة بذج: مج2: 211.

[4] . الميداني: **"مجمع الأمثال"** ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1961م: 363/1.

[5] . طرفة بن العبد: ديوانه، 38. الرغوث: هي النعجة المرضع. تخور: تطلق صوتها.

لَقِينَا جَمْعَهُمْ صُبحاً فكانُوا كَمِثْلِ الضّأنِ عاداهنّ سِيدُ[1] **(الطويل)**

ولم تكن صفة الضعف هي الوحيدة التي عرفت بها الغنم، فقد عرف المعز عند الجاهليين بغبائه "المعز: حيوان غبي أحمق لذلك إذا أرادوا ذم إنسان قالوا تيس من التيوس أي في غاية الغباوة"[2].

وفي الحقيقة إن الجاهلي بالرغم من تلك الصور التي رسمها للغنم لم ينس فضلها، وما تدره عليه من خير وفير، ففي الغنم فائدة عظيمة لا ينكرها إنسان. يقول امرؤ القيس:

ألا إنْ لا تَكُنْ إبلٌ فَمِعْزَى كأنّ قُرُونَ جِلّتِها العِصيُّ

فَتُوسِعُ أهْلَهَا أقطاً وسَمْناً وَحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ وَرِيّ[3] **(الوافر)**

وقد كنى الشعراء الجاهليون عن المرأة بالنعجة. وكذلك وردت في الغنم أحاديث تصف أهلها بالسكينة والهدوء، وتنعت قلوب رعائها وأربابها بالرقة وبعدها عن الفظاظة والغلظة[4].فصورة الغنم عند الجاهلي صورة واقعية، عكست ما يحمله العربيّ من معرفة عن هذا الحيوان الأهلي، فالغنم عنده من الحيوانات الضعيفة المعطاءة، كما أنها كثيرة الخير لأهلها.

أما الكلب فيعد من الحيوانات المهمة للجاهلي، ويعرف بالذكاء والقدرة على التميز." للكلب إثباته وجه صاحبه، ونظره في عينيه وفي وجهه، وحبّه له، ودنوه منه، حتى ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤثر ولا يوجع"[5] لذلك اعتمد الجاهليون عليه في الحراسة والصيد، ومرافقة قطعان الماشية لحمايتها من الذئاب، وشغلوا أنفسهم في تدريبه ولقبوه ألقابا مشهورة، كما وصفوه في أشعارهم، "وأهم مظهر في شعرهم أنهم اتخذوا من إلفها للوافدين

---

[1] . عامر بن الطفيل، **ديوانه** تحقيق: هدى جنهو يتشي، ط1، دار البشير عمان، 1997م: 86. السيد: الذئب ولا جمع له من هذا اللفظ. عاداهن من العَدو أي نفروا وتشردوا كالضأن التي عاث فيها الذئب.

[2] . الدميري: **"حياة الحيوان الكبرى"**، دار القاموس الحديث، بيروت،لبنان: 2\179

[3] . امرؤ القيس، **ديوانه**، 179. الجلة، الواحد جليل: وهو المسن. الأقط: شيء مثل الجبن يتخذ من اللبن المخيض.

[4] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **"الحيوان"** ،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م: 530/5

[5] . السابق: 193/2

عليهم دليلا على كرمهم، وتردد الضيوف على دورهم، لهذا افتخروا ومدحوا بجبنهـــا، وذمـــوا بنباحها الوافدين"[1]. يقول حاتم الطائي:

ولما رأيت الناس هرّتْ كلابهم ضربت بسيفي ساقَ أفعى فخَرّتِ

فقلتُ لأصباه صغار ونسوة بشهباء، من ليل الثلاثين قرّتِ

عليكم من الشّطين كلَّ ورَية إذا النّار مسّتْ جانبيها ارْمَعَلتٍ[2] **(الطويل)**

ولعل جبن الكلاب أمام الوافدين من الضيوف، وتعويدها على السكوت عند حضور الزائرين، هو ما جعل الضالين في الصحراء يقلدون أصواتها كي ترد عليهم، فيهتدون إلى بيوت أهلهـــا. "فمن عادات العرب أن الرجل منهم كان إذا ضل ليلا، وكان باغيا أو زائرا، أو ممـــن يلـــتمس القِرى، ولم ير في الليل نارا، عوى ونبح، لتجيبه الكلاب فيهتدي بذلك إلى موضع الناس"[3]

وقد عني العربي بتدريب كلبه؛ حتى يكون في ساحة الصيد صيادا ماهرا. يقول امـــرؤ القيس في وصف كلب صيد:

فَيُدْرِكُنَا فَغِمٌ داجِنٌ سَميعٌ بَصيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ

ألصُّ الضُّروس حَنيُّ الضّلُوعِ تَبُوعٌ طَلُوبٌ نشيطٌ أشِرْ[4] **(المتقارب)**

ورد ذكر الكلاب كثيرا في لوحات الصيد مع الثور الوحشي، "وفـــي معـــارك الثـــور الدامية يلازمه الكلب في جميع الجولات ملازمته لأصحاب الرقيم، ولا شـــك أنهـــم اصـــطادوا

---

[1] .الحوفي، أحمد محمد: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**: 101

[2] . حاتم الطائي: **ديوانه**، 30. أصباه: جمع صبي، شهباء يقال ليلة شهباء، وهي لا خضرة فيهـــا ولا مطـــر، أو كثيـــرة الثلج. ليل الثلاثين، أشد الليالي ظلمة. قرت: بردت. الشطان: جانبا السنم. الورية: السمينة. ارمعلت: أي سال دمها.

[3] . القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: 122.

[4] . امرؤ القيس، **ديوانه** 111. الفغم: المولع في الصيد، الحريص عليه، وأراد بها الكلب. نكر: كريه الصورة. الألـــص: الذي التصقت أسنانه بعضها ببعض. الحني: المنحني. أشر: بطر، مرح.

الثيران بالقسي والسهام والخيول والمخاتلة، لكنَّ اختيار الكلب في قصة الثور الوحشي والتي لها ما يماثلها في نجوم السماء إشارة إلى أساطير ومعتقدات اندثرت وسقطت من ذاكرة الزّمن"[1]

سمى العربي الكلاب ولقّبها، فذكر بعضا من ألقابها في قصائده. ها هو الأعشى يـــذكر بعض أسماء الكلاب في حديثه عن مطاردتها لثور وحشي، حيث أظهر صيادا من بنـــي ثعـــل يغري كلابه الخمسة (عطافا) و(مجدولا) و(سلهبة) و(محصوفا) و(كسابا) بالثور قائلا:

حَتّى إذا ذَرَّ قرن الشَّمْس أو كَرَبَتْ أحَسَّ من ثُعَلٍ بالفجر كلّابا

يُشْلِي عِطَافَاً ومَجْدُولاً وسَلْهَبَةً وذا القِلادَةِ مَحْصُوفا وكَسّابا[2] **(البسيط)**

ولم تأت عناية العربي بالكلب من فراغ، "فمن طبعه أنه يحرس ربـــه ويحمـــي حرمـــه شاهدا وغائبا ذاكرا وغافلا نائما ويقظان، وهو أيقظ الحيوان عينا في وقت حاجته إلـــى النـــوم، وإنما غالب نومه نهارا وعند الاستغناء عن الحراسة وهو في نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق"[3].وفي وفائه لصاحبه حكايات وقصص كثيرة ومشهورة.[4]

وبالرغم من أهمية الكلب للجاهلي، نلاحظ أن الصورة التي رسمها الشعراء لهذا الحيوان واقعية، انتزعت من معرفتهم بهذا الحيوان، وأهميته في بيئتهم، فإلف الكلب فوق إلف الإنـــسان الألوف[5].

وعلى ما يبدو فإن الحيوان المنزلي قد ترك في حياة الجاهلي أثرا كبيرا لا يستهان به - وإن اختلفت الصورة التي رسمت لكل حيوان - ففي الوقت الذي سدت فيه الإبل مكانـــا كبيـــرا كانت الخيل حصنا منيعا للجاهلي. وعندما كانت الكلاب رمزاً للوفاء كانت الغنم رمزا للعطاء.

---

[1] . أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**: 169.

[2] . الأعشى، **ديوانه** 18. كربت: قربت. ثعل: حي من طيء، وهم مشهورون بالرماية. كلّابا: صـــاحب كـــلاب. يـــشلي: يغري. مجدول: مفتول. السلهبة: الطويل. محصوف: مجدول، محكم الفتل.

[3] . الدميري، كمال الدين: "**حياة الحيوان الكبرى**" : 242/2

[4] . المرجع السابق: 243/2

[5] . الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**": 177/2

ثالثا - المثالية في صور الحيوان الوحشي:

للحيوان الوحشي في حياة الجاهلي وجود وتأثير واقعي فقد اتخذت جماعة من العرب من صيد حيوان الصحراء من حمر وأتن وبقر وثيران وغيرها مصدرا لرزقها.[1] كما قدّست جماعة أخرى هذه الحيوانات وعدتها رموزا للآلهة. وبهذا اقترب الجاهلي منها فتعرف إليها، ودرس عالمها. فعرف كيف تأكل وتشرب؟ وأين تسكن؟ وكيف تنام؟ وما تربطها من علاقات، ومن منطلق هذه المعرفة رسم لكل حيوان صورة خاصة كان أبرزها:

***صورة الثور الوحشي:**

يعد الثور من الحيوانات الوحشية التي عرفها الجاهلي، فقد تحدّث الشعراء الجاهليون عنه في كثير من أشعارهم. فجاءت أكثر الصور التي ذكر فيها هذا الحيوان من خلال أوصافهم لرواحلهم سواء أكانت في طريقها إلى الممدوح أم في طريقها إلى الأحبة الذين تحملوا من أجلهم هول الرحلة ولوعة الفراق. و"يتصف الثور في الشعر الجاهلي بالجلال والحكمة والجمال والتهيج ومعظم الشعراء يؤكدون هذه المزايا فيه وهي أقرب إلى صفات الآلهة القديمة منها إلى صفات البشر"[2]. فقصته معروفة متداولة "وتحفل قصة الثور الوحشي برموز كثيرة لها علاقة بقدسية الثور وقدرته على صنع المطر وإخصاب الأرض"[3].

وقد عُني الشعراء الجاهليون بإبراز صورة الثور في قصة الصيد "فشخصية الثور الوحشي أو البطل - هي وحدها التي حظيت أو استأثرت باهتمامهم فرسموها في أناة وتكلفوا في أمرها، أما الشخصية الثانية الكلاب فلم يشقوا في أمرها هذا الشقاء ولم يتكلفوا لها هذا التكلف، ولكنهم لم ينسوها أو يغفلوا عنها غفلة بعيدة والشخصية الثالثة الصياد هي أنأى هذه الشخصيات عن اهتمامهم وأسوأها حظاً من عنانهم ..." [4]

---

[1]. عطوان، حسين **: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي /** دار المعارف، مصر:42.

[2]. أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**: 169.

[3]. السابق: 168.

[4]. رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**:: 98.

وظل الثور البطل الحقيقي في قصة الصيد لذلك رسم الشعراء له صورةً دقيقةً واضحة لا تشوبها شائبة "فصوروه قبل المعركة ووصفوه في أثنائها ومضى بعضهم يتتبعه وقد فرغ من القتال ويرسم له صورة أو أكثر"[1].

نظر الشعراء إلى الثور نظرة الفنان المبدع، فرسموا له لوحةً فنيةً فيها من اللون والحركة والمشاعر ما يكفي لجعلها تنطق. " فوصفوا الثور بالامتلاء واختلاف اللون وخفة الحركة وسرعة العدو، وشدة الحذر"[2] والظاهرة الأكثر بروزاً في وصف هذا الحيوان هي استخدام اللون الأبيض، حيث أكثر الشعراء من استخدامه. يقول امرؤ القيس:

فأدْبَرَ يَكْسُوها الرَّغامَ كأنّهُ على الصَّمْدِ والآكام جَذْوَةُ مُقْبِسِ[3] **(الطويل)**

يقول لبيد مشبها الثور بالثوب الأبيض:

فاجتازَ مُنْقَطِعِ الكثيبِ كأنّهُ نِصْعٌ جَلَتْهُ الشّمسُ بَعْدَ صِوانِ[4] **(الكامل)**

لعل السبب في استخدام اللون الأبيض هو ارتباط الثور بعبادة القمر،" فالثور كما نعلم رمز الإله القمر، ولا يبدأ ظهوره إلى مع قدوم الليل"[5] لذلك ركز الشعراء في وصفهم لهذا الحيوان على هذا اللون دون غيره.

و الملاحظ أن صورة الثور قد تكررت بعناصرها عند معظم الشعراء، "وإذا رحنا نتتبع هذه الصورة في الشعر لوجدنا عناصرها مكررة تكراراً يكاد يكون تاماً عند الشعراء بل هو تكرار تام بالفعل في العناصر الأساسية للصورة" [1].

---

[1]. السابق: 99.

[2]. الحوفي، أحمد محمد :**"أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي"**: 136 .

[3]. امرؤ القيس، **ديوانه** 116. الرغام: التراب. الصمد: ما غلظ من الأرض وصلب. المقبس: الذي عنده من النار ما يقبس به.

[4]. ابن أبي ربيعة، لبيد **ديوانه** دار صادر، بيروت، 1966م: 210. متقطع الكثيب: حيث انقطع الكثيب. النصع: ثوب أبيض خالص البياض. العوان: العيبة التي تصان فيها الثياب.

[5]. البطل، علي :**الصورة في الشعر الجاهلي**: دار الاندلس للطباعة والنشر ،ط1 1980م: 130.

وقد ظلت صورة الثور في وجدان الجاهلية البطل الأسطوري فهو لا يهزم أمام الكوارث التي تحيط به، فيبقى المنتصر غالبا خاصة إذا اقترنت صورته بحديث الناقة لذلك نرى الصياد أمامه منهزماً وإن أعد العدة وجهز السلاح، فكلابه ستلقى حتفها في نهاية المعركة فإما ممزقة هالكة، وإما مدرجة بدمائها هاربة. ولعل السبب في انتصار الثور في حديث الناقة يعود إلى انشغال الشاعر بالبحث عن الحياة، فتنقله على ظهر راحلته بحثا عن الماء والكلأ، أو عن أحبابه كلها أمور تبعث الحياة فيه. فهو معنيّ بإيصال ناقته؛ لذلك يراها دائما منتصرة تواجه الصعاب حتى تصل به إلى برّ الأمان.

***صورة البقرة الوحشية:**

يأتي الحديث عن البقر عند الشعراء غالبا في أربعة مواضع في وصف الرواحل أولاً وفي الغزل ثانياً وفي الحديث عن الديار وخلوها من الأحباب ثالثاً وفي الصيد رابعاً .

برزت صورة البقر الوحشي كثيرا في الحديث عن الصيد "وتعد صورتها في الصيد أكثر معالجة عند الشعراء"[2]. فهي فاقدة للولد حزينة تحاول الهرب من الموت على يد الصياد وكلابه فتعدو بسرعة فائقة، وإذا ما اضطرت إلى المواجهة عادت لتقاوم الكلاب بكل ما أوتيت من قوة.[3]

وفي حديث الشعراء عن رواحلهم كان تشبيه الرواحل بالبقرة الوحشية أمرا يلفت الانتباه فحديثهم عن البقرة لم يكن مجرد تشبيه، لكنه حديث طويل اعتبر ضرباً من الحيلة، فالشاعر في هذا التشبيه لا يأتي به لتوضيح المشبه، وإنما يتحدث عنه كغرض مستقل يقصد إليه قصداً.[4]

---

[1]. السابق 125

[2]. القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: 133.

[3]. لبيد **ديوانه**/174 ، زهير **ديوانه** 122.

[4]. رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: 97.

وإذا كان حديث الشعراء عن البقر الوحشي في وصف الرواحل غرضا مقصودا لذاتـــه يقصد إليه الشعراء قصدا، فإن حديثهم عنها في الغزل جاء في معرض وصفهم للنـــساء، حيـــث شبهت النساء بالبقر الوحشي يقول لبيد:

زُجَلٌ ورُفِّعَ في ظِلالِ حُدُوجِها بِيضُ الخُدود حديثُهنَّ رخيمُ

بَقَرٌ مساكنُها مسارِبُ عازِبٍ وارْتَبَّهُنَّ شقائِقٌ وصريمُ [1] **(الكامل)**

ولم يقتصر الشعراء على تشبيه النساء بالبقر وإنما فعل بعضهم العكس حيث شبّه بقـــر الوحش في مشيتها وبياضها وبَريقها بالعذارى، يقول امرؤ القيس :

فَعَنَّ لَنا سرْبٌ كأنَّ نِعاجَهُ عَذارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيّلِ

فأدْبَرنَ كالجِزْعِ المُفَصّلِ بَيْنَهُ بجيدٍ مُعِمٍّ في العَشيرةِ مُخْوَلِ [2] **(الطويل)**

وذكر الشعراء البقر في حديثهم عن الديار التي أقفرت من أهلها، وهذا أمر طبيعـــي فـــالحيوان الوحشي لا يستأنس للبشر، لذلك يسكن الأماكن البعيدة عنهم ليأمن على نفسه وولده. يقول زهير:

بها العِينُ والآرام يَمْشِين خلفة وأطلاؤها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ [3] **(الطويل)**

لم يكن حديث الشعراء عن البقر جافاً جفاف الصحراء إنما كان حـــديثهم عنهـــا مليئـــاً بالمشاعر . و"لقد صور الشعراء مشاعر الأمومة وسلوكها في ساعة الصدق الكبير حين تعصف بالقلب رياح الحزن العاتية".[4] فكان تصويرهم لها أصدق تصوير وخاصة فـــي قـــصة الـــصيد عندما تفقِد الولد على يد السبع، حيث وجد الشعراء في حديث الصيد متسعاً للتعبير عن مـــشاعر هذا الحيوان وأحاسيسه.

---

[1]. ابن أبي ربيعة، لبيد **ديوانه** دار صادر، بيروت، 1966م: 152.

[2]. امرؤ القيس، **ديوانه** 57

[3]. ابن أبي سلمى، زهير: **"الديوان"** شرحه قدم له: علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م: 103.

[4]. رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: 119.

***صورة حمار الوحش:**

يعد الحمار الوحشي من الحيوانات التي تداول الشعراء الجاهليين قصتها فقد وظف الشعراء هذا الحيوان في قصائدهم التي تحدثت عن الناقة. فالحمار من الحيوانات التي شبهّت بها الناقة في السرعة والنشاط.[1] ولكن التشبيه _كما أسلفنا في الحديث عن البقر الوحشي_ لم يأت مجرد تشبيه، أنما يسترسل الشعراء فيه حتى يخرجوا لنا بقصة كاملة عن هذا الحمار وأتنه، فيذكرون رحلته الطويلة مع هذه الأتن للبحث عن الماء، كما يصورون غيرته عليها كأنهم يتحدثون عن رجل عربي شديد حريص على شرفه وعرضه.

وقد رسم الشعراء للحمار صورة مثالية تعكس واقع الحياة في الصحراء، فما صورة الحمار إلا صورة الرجل العربي ففي هذه الصحراء ليس أمام العربي سوى الرحيل من منطقة إلى أخرى بحثا عن أماكن الخصب، ومواضع الماء، وهو في رحلته الشاقة يحمل على كاهله مسؤولية عظيمة. ألا وهي حماية أهله من المفاجآت التي تنتظرهم في الصحراء الموحشة، لذلك فهو صاحب شأن عظيم في أهله.وهذا ما يبرز في صورة الحمار." أما أحداث الصورة وعناصرها فإن الحمار يظهر دائماً في صورة مثالية في قوته وسمنته، ولأنه أكل المراعي في مواطن خصبة المراعي فاخضرت مشافره وحوافره مما أكل ووطأ من النبت النضير حتى إذا بدأ قيظ الصيف وصوحت النباتات، وجفت المياه، وألح عليه العطش، تذكر موضعاً علمته التجارب أن مياهه دائمة لا تجف فجمع أتنه وانطلق بها، ملاينا ومخاشناً....."[2]

يقول امرؤ القيس مصوراً الحمار في هذه الرحلة مبرزاً أحداث القصة بتفاصيلها:

أذلِكَ، أمْ جَوْنٌ يُطارِدُ آتُناً حَمَلَنَ، فأرْبى حَمِلهِنّ دُرُوصُ

طواهُ اضطِمارُ الشّد والبَطنُ شازِبٌ معال إلى المَتْنَينِ فَهْوَ خَميصُ

---

[1] . ابن أبي سلمى، زهير: **"الديوان"** 16

[2]. البطل،علي : **الصورة في الشعر العربي**: 138.

بحاجِبِهِ كَدْحٌ من الضَّرْبِ جالِبُ وحارِكُهُ من الكِدامِ حَصِيصُ[1] **(الطويل)**

إن في صورة كل من الثور والبقر والحمر الوحشية ما يستدعي سؤالا لابد منه. هل صور الشعراء هذه الحيوانات بهذا الجلال لأنها ارتبطت في أذهانهم بمعتقدات دينية فقط أم هناك أسباب أخرى

في الواقع إن مجيء هذه الحيوانات بهذه الصورة من الجلال في الشعر الجاهلي كان اختلاقا أبدعه خيال الشعراء للتمرد على الحياة القاسية التي يعيشونها، فقد وجدوا في تخليد هذه الحيوانات المقدسة استمرارا في وجودهم، فعبادة هذه الحيوانات لم تكن مقصودة لذاتها. إنما قُدست من الجاهليين لتقربهم إلى الله زلفى، فكان وجود هذه الحيوانات يعني استمرار هذه الوساطة بين الإنسان وربه، وبالتالي استمرار الحياة، وتحسنها.

رابعا - الواقعية في صور الحيوان الوحشي:

رسم الجاهلي لبعض الحيوانات الوحشية صوراً واقعية بعيدة عن أي نوع من المثالية، مركزا على أهم صفات هذه الحيوانات. وكان من أبرزها الذئب، وهو من الحيوانات الوحشية التي عرفها الجاهلي فوصفها وقيل إن أروع وصف لهذا الحيوان جاء به الشنفرى.[2] وتكمن روعة القصيدة في تصوير عادات هذا الحيوان وهذا أمر طبيعي، فالشنفرى من الصعاليك الذين عاشوا حياة التشرد والجوع. فكانت حياتهم أشبه بحياة هذا الحيوان. يقول:

وأغدوا على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاداه التنائف أطحل

غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويُعسِلُ

فلما لواه القوت من حيث امه دعا فأجابته نظائرُ نُحّل

---

[1] . امرؤ القيس، **ديوانه** (123_124). الجون: الحمار الوحشي. الآتن، الواحدة أتان: الحمارة. أربى: اسم تفضيل من رب: نما. الدرص: جنين الأتان. اضمطر الفرس: ضمر. الشازب: الضامر. الخميص: الضامر البطن. الكدح: الخدش. الجالب: الذي عليه الجلبة وهي قشرة تعلو الجرح عند البدء. الحارك: الصدر. الكدام: العض. الحصيص: الذي سقط شعره.

[2] . القيسي، نوري حمودي: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: 160 .

مُهَلْهَلَةٌ شِيْبُ الوُجُوهِ كَأَنَّها قِدَاحٌ بِكَفّيْ يَاسِرٍ تَتَقَلْقَلُ[1] **(الطويل)**

وبرزت صورة الذئب في وصف الخيل حيث شبهت الخيول بالذئاب في حركتها وعدوها. ويقول امرؤ القيس في وصف فرسه:

له أيطلا ظَبيٍ وساقا نعامَةٍ وإرخاءُ سِرْحان وتَقْريبُ تَتْفُلِ[2] **(الطويل)**

لم يقتصر الشعراء في تصوير الذئب على هذه الصور بل ذهب بعضهم إلى إبراز صفة الكرم من خلال الحديث عن هذا الحيوان، فإكرامه عند المرقش دليل على الأصالة في الكرم، ومدعاة للفخر:

ولمَّا أضَأنا النَّارَ عِنْدَ شِوائِنَا عَرَانا عليها أطْلَسُ اللَّوْنِ بائِسُ

نَبَذْتُ إليه حُزّةً من شِوائِنَا حَياءً وما فُحشي على مَنْ أجالِسُ

فآضَ بها جَذْلانَ يَنْفُضُ رَأسهُ كما آبَ بالنَّهْب الكَمِيّ المُحَالِسُ[3] **(الطويل)**

ولم تكن الذئاب هي الحيوانات الوحشية الوحيدة التي تحدث عنها الجاهلي بواقعية لا تتجاوز الوصف والتصوير، بل صُوّرت كثير من الحيوانات الوحشية تصويرا واقعيا، فأدبنا العربي مليء بالصور، التي تناول فيها الشعراء وصف حيوانات الصحراء، فالثعلب مثلا معروف بمكره وخبثه ودناءته، وبه ضربوا المثل في الزوغان، والبعد عن الحق. وقد وجد

---

[1] . الشنفرى، **"ديوانه"** إعداد: السليك بن السلكة وعمرو بن براق، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م: 59. الأزل: الذئب الأرسح الذي لا أست له. التنائف: الأرض القفار. أطحل: لونه كلون الطحال. الطاوي: الجائع. الشعب: الطريق في الجبل. الأذناب: الأواخر. يعسل: يمر مرّا سهلا في استقامة. مهلهلة: رقيقة النسج والمعنى هنا رقيقة اللحم أي ضعيفة. القداح: جمع القدح وهو السهم قبل أن يراس ويركب عليه نصله. الياسر: المقامر. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.

[2] . امرؤ القيس، **ديوانه** 55. الأيطل: والأطل: الخاصرة. السرحان: الذئب. التقريب: وضع الرجلين موضع اليدين في العدو. التتفل: ولد الثعلب.

[3] . الضبي، محمد بن يعلي بن عامر بن سالم :**"المفضليات"**: 129. عرانا: أتانا. أطلس اللون: أغبره وهو الذئب. آض: رجع. الكمي: الشجاع. المحالس: المرابط الشديد.

الشعراء في هذه الصفات مجالا لذم أبناء جنسهم ممن يحملون هذه الصفات ويتخلقون بها. يقول طرفة موجها هذا القول لقومه:

أسْلَمَني قومي، ولم يَغضَبوا لسَوْءةٍ حلّتْ بهمْ، فادحَهْ

كلُّ خليلٍ كنتُ خاللتُهُ لا تركَ اللهُ لَهُ واضِحهْ

كلُّهُمُ أروغُ من ثعلَبٍ ما أشبهَ اللّيْلَةَ بالبارحَه[1] **(السريع)**

في هذه الأبيات يحط طرفة من قيمة الصديق المراوغ، فالمراوغة صفة ذميمة فكيف إذا كانت بين الأصدقاء كما عرف عن الثعلب أنه شديد الحيلة، وقيل إنه يفصل بين الكلب والكلّاب فيحتال للكلّاب لأنه يعلم أن الحيلة تمر عليه، لكنه لا يحتال مثل ذلك للكلب، فهو يعرف الميت من المغشي عليه.

ومع كره الجاهلي لصفات الثعلب، فإنه يرى المراوغة في الحرب صفة محمودة فهي دليل على قدرة صاحبها على القتال. يقول عروة واصفا قومه في ساحة المعركة عند اشتداد نار الحرب وانطفائها:

ثعالبُ في الحربِ العَوانِ فإن تبُخ وتَنفرجِ الجُلَّى فإنهم الأسدُ[2] **(الطويل)**

ومن الحيوانات الوحشية التي وصفها الجاهلي_ بكل واقعية_ الضبع، فقد عرف هذا الحيوان بولعه بجيف الموتى، فكثيرا ما نبشت الضباع القبور لتأكل ما فيها؛ مما جعل الناس يحكمون إغلاق القبور خوفا من هذا المخلوق، فقد اقترنت صورة هذا الحيوان بذكر الموت والفزع منه، فذِكرُه يبعث في النفوس شيئا من الرعب. يقول تأبط شرا في وصف معركة استمد الشجاعة فيها من صورة الضبع وهي تمكن أنيابها من جسده:

[1] . ابن العبد، طرفة، **ديوانه**: 17. الروغان: مشي الثعلب مكرا وخداعا.

[2] . عروة/ ص26. تبخ: أي تنطفئ الحرب.

فَزَحْزَحْتُ عَنْهُمْ أو تَجئْني مَنِيَّتِي بِغَبْراءَ أو عَرْفَاءَ تَغْدو الدّفائِنا

كَأَنّي أرَاهَا الْمَوْتَ لا دَرّ درُّهَا إذا أمْكَنَتْ أنْيَابَها والبَراثِنا[1] **(الطويل)**

وقد أصبح ترك جثث الأعداء غذاء للضباع دليلا على شجاعة القوم وقوتهم في الحرب، لـــذلك لم يجد عنترة أفضل من هذه الصورة ليعبر بها عن شجاعته أمام عدوه:

وعمراً وحَيّاناً تَرَكْنا بقَفْرَةٍ تَعُودُها فيها الضّباعُ الكَوالِحُ[2] **(الطويل)**

وكذلك كانت صورة كل من الأسد والنمر في الشعر الجاهلي صورة واقعية استمدها الـــشعراء من واقع الصفات والخصائص التي ميزت هذين الحيوانين، فالأسد حيوان قوي شجاع كثر ذكره في مجال المدح، ففي حديث الشعراء عن أنفسهم أوعن أقوامهم لم يجدوا صـــورة تعبـــر عـــن شجاعتهم غير هذه الصورة. فمن الصفات الأكثر تميزا في الأسد أنه مقدام لا يهزم ولا يستـــسلم أمام خصمه فجميع الحيوانات تهابه وتخشاه، وهذا ما جعل الجاهليين يحبون تـــصوير أنفـــسهم بالأسود. يقول أبو دؤاد الإيادي مفتخرا بقومه:

وشَبَابٌ كأنَّهم أُسْدُ غِيلٍ خالطَتْ فَرْطَ حدِّهِم أحلامُ[3] **(الخفيف)**

كما أحبوا صفات النمر فصورة النمر لا تختلف كثير عن صورة الأسد، ففي النمـــر "حدة نفس وتجهم وجه، وشدة غيظ، لهذا قالوا في الرجل إذا اشتد غضبه، وكثر غيظـــه علـــى عدوه، لبس جلد النمر"4 .

---

[1] . تأبط شرا، **ديوانه**: 74. براثن: جمع برثن، وهو مخلب السبع.

[2] . ابن شداد، عنترة: **ديوانه**: 28

[3] . الأصمعي، أبو سعبد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **"الأصمعيات"** ط5، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبـــد الـــسلام هارون، بيروت، لبنان: 187

[4] . . القيسي، نوري: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: 174

يقول أبو جندب الهذلي:

وتُقطع بيننا رَحِمٌ إذا ما لبسنا للكماة جلودَ نمرِ[1] **(الوافر)**

يبرز أبو جندب في هذا البيت صورة واقعية استمدها من ميزات هذا الحيوان، فهو يرى أن قومه إذا لم يلبسوا للأعداء جلد النمر فإن هذا يعني انقطاع علاقة الدم بينهم. فإذا ما أرادوا دوام هذه العلاقة يجب أن يكونوا أشداء _في الحرب_ كالنمور، والشاعر في هذه الصورة يحث بني قومه على القتال ببسالة والوقوف بوجه الأعداء كالنمور.

ونلاحظ أن صور الحيوان في العصر الجاهلي كثيرة متعددة فقد صور الجاهلي معظم الحيوانات التي عرفها في موطنه، وهذا جزء بسيط من صور الحيوان التي تركها لنا شعراء هذا العصر، واستقصاء الصور جميعها يحتاج إلى دراسة مستقلة، وهذا أمر لا يمكن الوقوف على أبعاده في هذه الدراسة، وما اقتطفناه من صور للحيوان سواء أكانت مثالية أم واقعية لم تكن سوى تمثيل بسيط على صورة الحيوان.

[1] .السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **"شرح أشعار الهذليين"** تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، مكتبة دار العروبة :ج1: 369

صورة الطير

عرف الجاهلي أنواعا كثيرة من الطيور، وقد تميّز كل نوع منها بخاصية عُرف بها بين أبناء جنسه، فالطيور الجارحة مثلا تميزت بكبريائها وقوتها وبطشها، فهي قادرة على اصـــطياد أضخم الحيوانات وحملها، وقد أعجب الجاهلي بهذه الطيور وتمنى أن يتصف ببعض صـــفاتها، فكان إذا ما افتخر شبّه نفسه بالصقر أو النسر أو العقاب، ولم يرض أن يكون كبغاث الطير التي عرفت بضعفها وجبنها. وهذا ما جعل حديثه عن الطيور موزعا بين صورتين هما:

أولا - صورة الطيور الجارحة:

عُرفت الطيور الجارحة بحرائر الطير لأنها لا تنقاد لغيرها من الطيور. أمـــا الطيـــور الضعيفة فقد سميت بغاث الطير وهي " كل طائر ليس من جوارح الطير يقال هو اسم للجـــنس من الطير الذي يصاد"[1]

وقد عرفت الطيور الجارحة باعتمادها على الصيد، مما جعل أعشاشها تمتلـــئ بقلـــوب فرائسها، وكان أروع تصوير لقدرة هذه الطيور على الصيد قول امرئ القيس:

كأنّ قُلُوبَ الطّيْرِ رَطْبَاً ويَابِساً لَدى وكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي[2] **(الطويل)**

والطيور الجارحة عند الجاهلي رمز من رموز القوة لذلك كان موتها أمرا مـــستهجنا، فمن الطبيعي أن يُرى كل من العقاب والصقر مظفرا يفتك بفريسته، ولكن موتـــه فـــي معركـــة الصيد أمر مستغرب وجد فيه الجاهلي مواساة لفقد الأبطال، حيث شكّل هذا النوع مـــن المـــوت مادة استخدمها بعض الشعراء للتخفيف من مصابهم، فهذا ما دفع صخر الغيّ الهذلي غلى اختيار العقاب بطلا لقصة ابتدعها خياله؛ ليخفف عن نفسه فاجعة موت أخيه بعد أن نهشته حيّة، حيـــث

---

[1] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مادة بغث: مج2: 118.

[2]. امرؤ القيس، ديوانه 145

قص علينا ما حدث مع العقاب عندما أرادت أن تصيد غزالا كان بجانب سـمرات، فارتطمـت بصخرة لم تكن منتبهة لأمرها، فشبه حال أخيه بحال هذه العقاب،[1] وذلك في قوله:

ولله فَتْخَاءُ الجَناحين لِقْوَةٌ تُوَسِدُ فَرْخَيْها لُحومَ الأرانِبِ

كأنّ قلوبَ الطّيْر في جَوف وَكْرِهَا نَوَى القَسْبِ يُلقَى عند بعض المآدب

فَخاتَتْ غزالا جاثِما بَصُرتْ بِه لَدَى سَمُراتٍ عنْد أدْماءَ سارب[2] **(الطويل)**

إن صورة العقاب في هذه اللوحة وإن كانت تحمل كثيرا من معاني الحـزن والـشعور بالأسف، فإنها تبين حقيقة المخلوقات، فمهما بلغت قوة هذه المخلوقات فإنها تبقى مجرّد مخلوقات لا تملك لنفسها ضرّا ولا نفعا. والأمر الذي يثير الشفقة والاستغراب في هذه اللوحة هو المـوت بهذه الطريقة، فما كان سببا في حياة العقاب كان سببا في موتها!!

لم تكن الطيور الجارحة تعتمد في حياتها على ما تصطاده مـن فـرائس فقـط، لكنهـا اعتمدت كذلك على جثث القتلى في الحروب التي كانت تدور بين القبائل، لذلك كثر ذكرها فـي حديث الحرب، فهي تتبع الجيوش للحصول على طعامها. "واعتقد البعض أن الجيش الذي لم تحم عليه النسور لا يدخل معركة ولا يشترك في قتال"[3].

فها هو طرفة يفتخر بفرسان قومه الذين يخلفون جثث القتلى من الأعداء طعاما لهـذه الطيور قائلا:

---

[1] . الرباعي، عبد القادر: "الطير في الشعر الجاهلي"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنش، بيروت، لبنـان، 1998م: 33.

[2] . السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين **"شرح أشعار الهذليين"** : (250 -251)

[3] . القيسي، نوري: **الطبيعة في الشعر الجاهلي"** 182 .

نذَرُ الأبطالَ صَرْعى بَيْنَها تَعْكُفُ العِقْبانُ فيها والرَّخَمْ[1] **(الرّمل)**

كما برزت هذه الطيور في وصف الشعراء للخيول وحديثهم عنها، حيث شبهوا خيولهم بها في السرعة. يقول المثقب العبدي مشبها فرسه بالصقر المطارد للقطا:

كالأجدَلِ الطّالبِ رُهْو القَطا مُستَنْشِطٍ في العُنُقِ الأصْيَدِ

يَجْمَعُ في الوُكرِ وَزيماً كما يَجْمَعُ ذو الوَفْضَةِ في المزوَدِ[2] **(السريع)**

ولم يقف الشعراء في حديثهم عن هذه الطيور عند هذا الحدّ، فقد شبهوا أنفسهم وهم على ظهور خيولهم السريعة منقضين على الأعداء بهذه الطيور. يقول عنترة:

فعليهِ اقْتَحِمُ الهياجَ تَقحُّما فيها وأنقضُّ انْقضاضَ الأجدل[3] **(الكامل)**

ومع اشتراك الطيور الجارحة في كثير من الصفات، يبقى لكل طائر منها ميزاته الخاصة، فالعقاب مثلا من الطيور المعمرة، وهي حادة النظر، قوية الأجنحة، قوية السمع لذلك قالوا: "أسمع من عقاب"[4]. كما تتميز بمخالبها القوية القادرة على اصطياد حيوانات ضخمة، وحملها.

أما النسر فيعدّ أعظم سباع الطيور وأقواها بدناً[5]. وليس من جوارحها فهو نادرا ما يصيد، وله أظافر وليس له مخالب، وسلاحه الوحيد منقاره وأظافره، ويختلف عن العقاب أنه لا يستطيع حمل فريسته كما تفعل هي.

---

[1] . طرفة / **ديوانه** 77. نذر: نترك. الصرعى: القتلى. تعكف: تستدير. العقبان: مفردها العقاب وهو من الطيور الجوارح. والرخم ايضا.

[2] . العبدي، المثقب: **"ديوانه"**:35.

[3] . ابن شداد، عنترة: **"ديوانه"**: 48. الأجدل: هو الصقر.

[4] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **"الحيوان"** 535/5

[5] . السابق:409/6

ومن الطيور الجارحة الرخم، وهو نوع من النسور يأكل اللحوم. جاء في اللسان: "والرَّخَمَةُ طائر أبقع على شكل النَّسْر خِلْقةً إلا أنه مُبَقَّعٌ بسواد وبياض يقال له الأَنُوقُ والجمع رَخَمٌ ورُخْمٌ". "وقد أجمعوا أن الرخم من لئام الطير وبغاثها، وليس من عتاقها وأحرارها"[1]. " والرخم يلتمس لبيضه المواضع البعيدة، والأماكن الوحشية، والجبال الشامخة، وصدوع الصخر"[2]. ويشترك مع النسر والعقاب بتتبع الجيوش وانتظار جثث القتلى، وهو معروف بالغدر. وقد استغله بعض الشعراء في هجاء أعدائهم، حيث شبهوا المهجوّ به. يقول الأعشى:

يا رُخَماً قاظَ على مَطْلُوبِ يُعْجِلُ كَفَّ الخارِئِ المُطِيبِ [3] **(الرجز)**

ثانيا: صورة الطيور غير الجارحة:

عرف الجاهلي العديد من الطيور غير الجارحة، وميّز كل طير بخاصية عُرف بها، فالحمام عند الجاهلي رمز من رموز الحزن، إذ "يقترن ذكر الحمام في الشعر الجاهلي -في كثير من الأحيان - بحديث البكاء والنواح، فهو يثير في بكائه ونواحه شجونهم، ويهيج فيهم لوعة البعد والفراق"[4]. من مناقبه أنه يحب الناس ويأنس الناس به. "والحمام أشد طيرانا من جميع سباع الطير، إلا في انقضاض وانحدار، فإن تلك تنحط انحطاط الصخور".[5]

وقد ورد ذكر الحمام في حديث الشعراء عند فراق الأهل والأحبة، وبكاء الديار، يقول عبيد مشبها بكاءه في ديار الأحبة ببكاء الحمام:

تبدّل بعدي من سليمى وأهلها نعاما تراعاها وأدما ترائكا

---

[1] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**": 258/3

[2] . السابق: 521/3

[3] . الأعشى، **ديوانه** 29.

[4] .القيسي، نوري: "**الطبيعة في الشعر الجاهلي**" : 194

[5] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**": 220/3

وَقَفْتُ بها أبْكي بُكاءَ حَمَامةٍ أرَاكيّةٍ تَدْعُو حَمَاماً أوَارِكَا[1] **(الطويل)**

و

كذلك فعل النابغة عندما شبه حاله وهو يقف على راحلته يبكي الأحبة بحال الحمامة المُفجعة التي تقف على غصن شجرة تبكي ما فقدت من الأحباب:

وقفْتُ بها القَلوصَ على اكتئابٍ، وذاكَ تَفارُطُ الشّوقِ المُعنّى

أسائِلُها وقد سَفَحتُ دُموعي كأنّ مَفيضَهُنّ غُروبُ شَنّ

بكاءَ حمامةٍ، تدعو هَديلاً، مُفَجَّعةٍ على فَنَنٍ تُغَنّي[2] **(الوافر)**

إذا كان بكاء الحمامة وحزنها الدائم يحرك الأشجان في قلب الجاهلي، فإن هذا البكاء دليل واضح على وفائها الممزوج بالحب والإخلاص. فبكاء "الحمامة على "ساق حر"[3] في خيال الجاهلي ثابت على الأيام لأنه ظلّ يردد زمنا طويلا، وهو دلالة الوفاء والحب، لذا أصبح أنموذجا للتمثل".[4]

وأما العصفور فقد عرف بحذره وحنانه. و"ليس في الأرض أصدق حذرا منه. ويقال إنه في ذلك أكثر من العقعق والغراب"[5] و"ليس في الأرض طائر أحنى على ولده ولا أشد تعطفا من عصفور"[6]. "ذلك أنهم يضربون المثل بأحلام العصافير لأحلام السُّخَفَاء"[7]. يقو دريد مشبها أحلام آل سفيان بأحلام العصافير:

---

[1] . عبيد بن الأبرص **ديوانه:** 100. الأدم: الواحدة أدماء: الظبية السمراء. الترائك، الواحدة تريكة: المتروكة، والتريكة أيضا بيضة النعام، ولعله شبه الظباء بلونها الأسمر. الأراكية: نسبة إلى الأراك: شجر.

[2] . النابغة، **ديوانه**: (122-123). القلوص: الناقة. التفارط: التسابق. المعنّى: الذي يسبب العناء والمشقة. الشنّ: القربة البالية. الهديل: زعموا أنه ذكر الحمام كان على عهد نوح فقدته أنثاه فبكته، وكل نائحة من الحمام تنوح عليه.

3 . ساق حر: والحُرُّ فرخ الحمام وقيل الذكر منها وساقُ حُرٍّ الذَّكَرُ من القَمَارِيِّ

[4] . الرباعي، عبد القادر:**"الطير في الشعر الجاهلي"** ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1998م: 42.

[5] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **"الحيوان"**: 329/2

[6] . السابق: 328/2

[7] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **"الحيوان"** : 229/5

يا آل سفيان ما بالي وبالكمو أنتم كبيرٌ وفي أحلام عصفور[1] **(البسيط)**

ويقول مشبها ولدان بني عزية بالعصافير، وذلك حينما اختلطوا بالخيل تحت الغبار. مبرزا قوة قومه وشدة بأسهم.

كأن ولدانهم، لما اختلطن بهم تحت العجاجة بالأيدي عصافير[2] **(البسيط)**

وقد وجد الشعراء في هذا الطائر نموذجا للضعف، فشبهوا أنفسهم به عندما أدركوا حقيقة الإنسان في هذا الكون. يقول لبيد:

فإن تَسألينا فِيمَ نَحْنُ فإنَنَا عَصافيرُ مِنْ هذا الأنامِ المُسَحَّر[3] **(الطويل)**

ومن الطيور التي عرفها الجاهلي وتحدث عنها الديك فقد تميز بصفاء عينيه وليس في الطيور أصفى عيونا منه. وهو من بهائم الطير وبغاثها وليس من أحرارها ولا من عتاقها وجوارحها.[4] ويعرف بكبريائه، لذلك نجده ينغص على الندامى مجلسهم. يقول الأعشى:

أرَحْنا نُبَاكر جِدَّ الصَّبُو ح قبْل النُّفُوسِ وحَسّادِها

فَقُمْنا ولمَّا يصِحْ ديكُنا إلى جَوْنَةٍ عند حَدّادِها[5] **(المتقارب)**

ومن الطيور غير الجارحة أيضاً القطاة، وهي طائر شبيه بالحمام، وتعرف القطاة بالمشي المليح، فهي مقاربة الخطو؛ لذلك شبه الشعراء مشية الحسناء بمشيتها.يقول النابغة الذبياني:

---

[1] . شيخو، لويس: " شعراء النصرانية قبل الإسلام" ط4، دار المشرق، بيروت لبنان، 1991م: 761.

[2] . شيخو، لويس: " شعراء النصرانية قبل الإسلام" ط4، دار المشرق بيروت، لبنان، 1991م: 763.

[3] . ابن أبي ربيعة لبيد **ديوانه** دار صادر، بيروت، 1966م: 71.

[4] . الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**" ،ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م: 1/(193-194)

[5] . الأعشى، ديوانه: 59. أرحنا: أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وصار مستريحا. جد الصبوح، الجد: العجلة. الصبوح: خمر الصبح. الجونة: الخابية السوداء. حدادها: صاحبها الذي يحدّ الناس إليه يزودهم عنها لنفاستها.

تدعو القطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ يا صِدْقَها حين تلقاهُ فتنتسبُ[1] **(البسيط)**

لقد خُصت القطاة بلزومها ماء الورد. وكَثُر تشبيه الخيل بها، وعرفت بالسرعة وشدة الطيران. يقول امرؤ القيس مشبها الخيل وهي ترد القتال بالعطاش من القطا:

إذ هُنّ أقْسَاطٌ كرِجْلِ الدَّبى أو كقَطَا كاظِمَةَ النّاهِلِ[2] **(السريع)**

كما استحضر الشعراء القطا في وصف الإبل، فوجدوا في صورتها وهي هاربة من النسر أنسب صورة للمقارنة بينها والإبل في السرعة. وقد ضرب بها المثل في الاهتداء، لأنها تهتدي إلى الأماكن التي يضلُ في الوصول إليها، فقيل: "أهدى من قطاة" [3]

وبجانب هذه الطيور عرف الجاهلي الغراب والبوم. فالغراب من بغاث الطير وليس من حرائرها، ويعرف بلؤمه وشكله القبيح. كره العرب اسمه ونفروا منه، وكان أكثر الطيور التي تشاءمت منها العرب "فالغراب أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم"4. لذلك ذكر في هذا الباب فهو نذير الفراق بين الأحباب عند عنترة حيث يقول:

ظَعنَ الّذينَ فراقَهُم أتوقَّعُ وجرى ببينهم الغُرابُ الأبقعُ

حَرِقُ الجَناح كأنّ لحَيْي رأسِه جَلَمَان، بالأخْبار هَشٌّ مُولعُ[5] **(الكامل)**

---

[1] . النابغة، ديوانه 12

[2] . امرؤ القيس، ديوانه 148. أقساط: فرق. الرجل: القطعة من الجراد. الدبى: الصغار المجتمعة منه. كاظمة: بلد مما يلي البحرين. الناهل: العطشان. (شبه الخيل في كثرتها بالجراد، وفي سرعتها بالقطا العطاش إذا انقضت على الماء)

[3] . الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم النيسابوري: "**مجمع الأمثال**"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: 2/ 485

[4] . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**" : 443/3

[5] . ابن شداد، عنترة: **ديوانه**: 36. يقال حرق الجناح إذا نسل شعره وتقطع. اللحيان: جانبا الوجه. الجلمان: مثنى الجلمن وهو المقراض.

كما ظلّ الغراب عند العرب نذير شؤم، فإذا شاهد العربي غرابا هيأ نفسه لوقوع كارثة أو مصيبة، فهو عندهم رمز للمصائب والكوارث، ولعل للونه الأسود علاقة بهذه الصورة. يقول النابغة:

زَعَمَ الغُرابُ أنّ رِحْلتنا غداً وبذاكَ خبّرنا الغُدافُ الأسودُ[1] **(الكامل)**

أما البوم فقد ذكر في وصف الشعراء للصحراء وحديثهم عن طبيعتها المخيفة، فهي موحشة لا يسمع فيها سوى صوت الثعالب والبوم، يقول الأعشى:

لا يَسْمَعُ المرْءُ فيها ما يُؤنِّسه باللّيْل إلّا نَئِيمُ البُوم والضُّوعا[2] **(البسيط)**

إن حديث الشعراء عن البوم في مثل هذا الموضع دليل على نفور العرب وتشاؤمهم من هذا الطائر. فالصحراء المظلمة بطبيعتها مخيفة، فكيف إذا سمع فيها مثل هذه الأصوات؟ لا شك أن هذه الأصوات تزيد الموقف رهبة.

ومن الطيور التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي الهامة والصدى، وهما طائران أبدعهما خيال الجاهليين حتى أصبحا في تفكيرهم أشبه بحقيقة تعارف عليها الجميع، فالموت يُجسد عندهم بصورة طائر يصيح ويزقو يبحث عن الاستقرار، والروح تبقى هائمة لا تستقر حتى تسقى من دم القاتل، فالهامة في المفهوم الجاهلي ما هي إلا طائر. يخرج من هامة القتيل يطالب بالسقي حتى يُأخذ بثأر صاحبه. أما الصدى فهو طائر يخرج من رأس القتيل إذا بلي.[3]

---

1 . النابغة، ديوانه 38 . البوارح: الطيور التي تجيء عن يمينك فتوليك مباشرة والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسانح. الغداف الأسود: الغراب الأسود.

[2] . الأعشى: "**الديوان**": 212. النئيم: صوت القوس وقد استعارها للبوم. الضوع: طائر أسود يشبه لونه لون الغراب.

[3] . راجع ابن منظور، "اللسان". مادة صدى

وقد عني الشعراء الجاهليون بكل من الهامة والصدى، فأصداء الموتى عندهم تجتمع كأنها طيور حقيقية، واجتماعها رمز لبقاء المحبة بين أصحابها، ودليل على الوفاء. يقول قيس بن الملوّح:

فلو تلتقي أرْوَاحُنا بَعْدَ مَوْتِنا ومِنْ دُونِ رَمْسَينا من الأرْض مَنْكِبُ

لظلَّ صَدَى رَمسي وإن كنتُ رِمةً لِصَوتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشُّ ويطربُ[1] **(الطويل)**

وقد ظل صدى الروح عند الشعراء مبعث الاطمئنان، فإذا ما تذكر المحبوب لقاء الأصداء بعد الموت هان عليه ألم الفراق واطمأنت نفسه، فلا بد بعد الفراق من لقاء أكيد. يقول جميل بن معمر:

يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت يتبع صدايَ صداك بين الأقبرُ[2] **(الكامل)**

نلاحظ أن الحديث عن الطير في الشعر الجاهلي كثير، وهذا يعود إلى تميز الطير بصفات مشتركة كالسرعة والقدرة على الوصول إلى أعلى المناطق.وقد لفتت هذه الصفات نظر الإنسان الجاهلي، فأحبّها وصورها إعجابا بها.

***علاقة الصورة بالحياة العربية:**

أدت الحياة العربية دورا كبيرا في صورة كل من الطير والحيوان في العصر الجاهلي، وقد أثرت مجموعة من المؤثرات على هذه الصورة ومنها:

أولا - البيئة الطبيعية:

إن عيش الإنسان العربي في صحراء موحشة -تتردد في أرجائها أصوات مختلفة من مخلوقات شتى، ويعيش فيها من الحيوانات والطيور ما يفوق عدد البشر - جعل الإنسان العربي

1 . مجنون ليلى، **ديوانه** 17

2. بن معمر، جميل **ديوانه** شرح: إبراهيم جزيني،ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان:1968: 46.

يقف من هذه المخلوقات مواقف مختلفة، وكانت قسوة الحياة، وقلة الماء والغذاء من أعظم المؤثرات التي وجهت عناية الجاهلي بأنواع معينة من الحيوانات،"وهذه الحياة الخشنة هي التي جعلت القبائل يتقاتلون في سبيل المرعى والماء"[1].

وقد عمّق إصرار الجاهلي على العيش في هذه الصحراء من عنايته بأنواع معينة من الحيوان "فكان الجمل أهم الحيوانات التي يستعين بها العربي وأشهرها جميعا وأكثرها استعمالا"[2]. " ومن هنا اقترنت البداوة بالبادية وتربية الإبل التي تنفرد عن غيرها من الحيوانات بقابلينها على المعيشة في البادية وصبرها على تحمل الجوع والعطش أياما، بينما تقصر همم الحيوانات الأخرى عن مجاراتها في هذا الباب"[3]

ولعل هذا ما جعل العربي يبرز الإبل بأجمل صورة، ويعتني بها عناية خاصة، "فهي قادرة على أن تعيش على نبات ذي أشواك، وهي قادرة على أن تحفظ الماء في جسمها، وهناك آيات غريبة في تشكيل أقدامها، لهذا كانت الناقة هي التعبير الصالح عن فكرة الثبات والقهر والصمود"[4] ومع هذا لم يكن الجمل الحيوان الوحيد الذي حاز على عناية خاصة عند العرب الجاهليين، فاختلاف المؤثرات ساعد على إبراز أنواع أخرى من الحيوانات. فقد أثرت ظروف عديدة على صورة الطير والحيوان.

ثانيا - البيئة الاجتماعية:

نقصد بالبيئة الاجتماعية ك ما يحيط بالإنسان من نظم اجتماعية كنظام حكومة ودين وأسرة، فهناك أمور فرضتها طبيعة الحياة، وتقبلها أفراد المجتمع العربي آنذاك، وأصبحت مألوفة في حياتهم الداخلية، وأبرز هذه الظروف :

---

[1] . علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1970م: 1/ 274

[2]. العشماوي، محمد زكي: **"النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية"** دار النهضة العربية، بيروت 1980م **219.**

[3]. علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** : 4/ 277

[4]. ناصيف مصطفى: **"قراءة ثانية في شعرنا القديم""** دار الأندلس للطباعة والنشر ط2 1981م: 98

أ - الظروف المعيشية:

لقد شغلت لقمة العيش تفكير الجاهلي -وهذا أمر طبيعي - فهي أساس الحياة، وكل إنسان يسعى للحصول عليها فكيف إذا كان يعيش في صحراء مقفرة؟ لاشك أن وجوده في بيئة كهذه يصبح مهددا إذا تعذر حصوله عليها، حيث لا سبيل أمام الإنسان داخل هذه البيئة القاسية سوى الكد والتعب، وتحمل مشاق السفر والرحيل المتكرر فالصحراء _كما نعلم_ أرض شحيحة الماء وقليلة الغذاء، يصعب فيها الحصول على الطعام والشراب كما يصعب الاستقرار فيها.

ومن هنا لم يكن أمام العرب سوى الاعتماد على الحيوان من أجل تذليل الصعاب، لذلك كان عماد حياتهم في صحرائهم المقفرة "وكان أهم حيوان أعانهم على احتمال هذه الحياة المجهدة البعير الذي يتحمل مشاق الصحراء ولا يرهقه عطش ولا جوع ولا ما يحمله من أثقال"[1]

وقد تعلق العرب بهذه البيئة القاسية، أصروا على العيش فيها، "فطبيعة المجتمع البدوي القائمة على النقلة والرعي وحماية مواطن الغيث وما يتصل بذلك من حروب تقطع وشائج الدم والحلف والحب جعلت من الجاهلي إنسانا عالقا بالأرض" [2]

ولم يكن تعلق العربي بالأرض بدافع استغلالها _فهي أرض صحراوية_ إنما غايته الوحيدة مراع خصبة بسيطة يسد بها جوع أنعامه، ومواطن غيث تقيه مرارة العطش؛ لذلك كان اعتماده الأول على الحيوان، فهو مصدر رزقه الذي يمده باللبن والسمن واللحم، كما أنه المساعد الأول في الحلّ والترحال، والسلم والحرب.

كما فرضت الظروف المعيشية على الجاهلي إتقان مهنة الصيد، التي أصبحت عند بعض القبائل مهنة اعتمدوا عليها كثيرا، ومن خلالها تعرّفوا إلى كثير من الحيوانات والطيور،

---

[1] . ضيف، شوقِي: "**العصر الجاهلي**" دار المعارف، مصر، 1960م: 79.

[2] . رومية، وهب: "**الرحلة في القصيدة الجاهلية**": 19.

فعرفوا الثور، والنسر، والبقر، الحمر الوحشية ، والغزلان وغيرها، استخدموا الخيل والكـــلاب في هذه المهنة؛ لأنها عدّة الصيد المعروفة عندهم، حيث اعتنوا بتدريب هذين الحيوانين عنايـــة فائقة، فالصيد مصدر من مصادر رزقهم.

ب - المعارك والحروب:

كان للمعارك والحروب دور كبير في توجيه عناية العربي بأنواع معينة من الحيـــوان، فالخيل مثلا عدة الجاهلي في معاركه ضد الأعداء، وذخيرته وقت الشدة، لذلك خـــصّها بعنايتـــه ورعايته، وقرّبها منه، وقد أبدع شعراء ذاك العصر في وصفها. يقو عنترة:

مُقرَّبَةَ الشِّتاءِ ولا تراها ورَاءَ الحيِّ يتبعُها المِهارُ

لها بالصّيف أصبرَةٌ وجُلٌّ وَنيبٌ من كرائِمِها غِزارُ[1] **(الوافر)**

واحتلت الخيل مكانة عظيمة في حياة الجاهلي "فالخيل العادية مفتاح باب النصر. لـــذلك يلتمس الشاعر نجاة العربي والقدرة على جلائل الأعمال في صورة الفرس التي يبتدعها، ويرى أن الفرس باختصار - هو مجمع الثورة الكامنة في عقله"[2]

ولأهمية الخيل في المعارك أقسم بها الله تعالى في قوله: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً، فَالْمُورِيَـــاتِ قَدْحاً، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً"[3]. "يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منـــذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري قارعة للصخر بحوافرها حتـــى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه

---

[1]. ابن شداد، عنترة: **"ديوانه"** شرح: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007: 33. الاصبرة: من الغنم والإبـ التي تروح وتغدو على أهلها لا تغرب عنهم. الجل: البعير.

[2] . ناصيف مصطفى: **"قراءة ثانية في شعرنا القديم"**: 87.

[3] . العاديات الآيات (1-3)

إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاتــه ســبحانه إليها "[1]

واحتياج العربيّ إلى حصان قوي يعتمد عليه في كره وفره، جعله يركز على نسب هذا الحيوان، حتى أصبح نسب الحصان مفخرة لصاحبه، خاصة إذا كان أصيلاً معــروف النــسب. يقول علقمة:

وقد أقُودُ أمامَ الحيِّ سَلْهَبَة يهدِي بها نَسَبٌ في الحيِّ مَعْلُومُ[2] **(البسيط)**

وقد رأى العرب أن الخيل تحميهم من الأعداء فحرصوا عليها حرصا شديدا، وتمسكوا بالأصيل منها، "وهم على حق في حرصهم على الخيل، وفي إعزازهم، والفخــار بهــا، لأنهــا تحميهم من الأعداء وتعينهم على النصر"[3].

كما عني العرب بضرورة تنشئة أبنائهم على حبّ الخيل، وتعويــدهم علــى ركوبهــا، وكانت هذه العناية ضرورة حتمتها الظروف القاسية التي تربى في ظلها العرب ، وقــد كانــت ريادة الخيل وقفا على أبناء العرب من ذوي النسب فقط.[4] يقول امرؤ القيس:

أصْبَحْتُ وَدَّعْتُ الصِّبا غَيْرَ أنني أُرَاقِبُ خَلّاتٍ من العَيْشِ أرْبَعا

فَمِنْهُنَّ قَوْلي للنَّدَامى تَرَفَّعُوا، يُداجُونَ نَشّاجاً منَ الخَمر مُتْرعا

وَمِنهُنَّ رَكْضُ الخَيلِ تَرْجُمُ بِالقَنا يُبادِرْنَ سِرْبَاً آمِناً أنْ يُفْزَّعا[5] **(الطويـ)**

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ط35، دار الشروق ، بيروت،2005م: ج6: 3958

[2]. ابن عبدة، علقمة **ديوانه**: 59.

[3] الحوفي أحمد محمد: **"أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي"** : 90

[4] .القيسي، نوري حمودي: **"الفروسية في الشعر الجاهلي"** ط2 مكتبة النهضة العربية، 1984م:.161

[5]. القيس، امرؤ: **"الديوان"**: 129. خلات الواحدة خلة: الخصلة. يداجون: يدارون، ويعالجون. النشاج: الزق الذي علــى على ما فيه حتى سمع له صوت. مترع: مملوء. ترجم: ترمي، والضمير لفرسان الخيل. يبــادرن: يعــالجن، والــضمير للخيل. السرب: القطيع من الظباء، أو بقر الوحش.

وكذلك أثرت الحروب على صورة الإبل، فهي الوسيلة التي استخدمها العرب في نقل أمتعة الحرب وأسلحتها إلى ساحة المعركة. يقول زهير:

فَساروا لهُ، حتى أناخُوا، بِبابِهِ كِرامَ المَطايا، والهِجانَ، المَتالِيَا[1] **(الطويل)**

ومن الملاحظ أن الحروب والمعارك قد عملت على إبراز الخيل، وتعظيم شأنها في الدرجة الأولى، وهذا ما جعل العرب يعتنون بها، ويحافظون على أنسابها، كما دفع الشعراء إلى التفنن في تصويرها.[2] وأما الحيوان الثاني الذي أبرزته المعارك والحروب فهو الجمل، بالإضافة إلى إبراز صور لبعض الطيور الجارحة، كتلك التي كانت تلحق فوق الجيوش منتظرة جثث القتلى، ولكنها لم تبرز غيرها من الحيوانات والطيور، وهذا يعود إلى أهمية الإبل في نقل الذخيرة والأمتعة، وضرورة الخيل في ساحة القتال.

ت - **البعد عن الديار "فراق الأهل والأحباب":**

لقد كانت الناقة ملجأ الشاعر الجاهلي تخفف أحزانه، وتسليه في رحلته الطويلة. فلم يجد العربي وسيلة للوصول إلى أحبته - الذين ابتعدوا تاركين الحزن يغمر قلبه - سوى ركوبته، فركبها هائما في أرجاء صحرائه الموحشة. يقول علقمة الفحل:

هل تُلْحِقَنِّي بأخْرى الحيّ إذ شَحَطوا جُلذيّةٌ كأتانِ الضَّحلِ عَلْكومُ[3] **(البسيط)**

والناقة هي المفر الوحيد عند الشعراء في تناسي الحبّ وشفاء الهمّ. "لا شيء يشفي من الحب والهم سوى الرحيل، ولا شيء يعزي سوى الرحيل أيضا" [4] ولا يكون الرحيل إلا على ظهر الحيوان وخاصة الناقة فهي حيوان الصحراء الأول. يقول عبيد بن الأبرص:

---

[1]. ابن أبي سلمى، زهير: **"ديوانه"** 142. الهجانك البيض من الإبل وهي أكرمها. والمتالي: التي تتلوها أولادها واحدها متلية.

[2]. راجع امرؤ القيس: **"الديوان"** 52

[3]. ابن عبدة، علقمة **ديوانه** شرح وتقديم:سعيد نسيب مكارم،دار صادر، بيروت، لبنان: 1996م: 51. شطحوا: بعدوا. جلذية: شديدة وصلبة. أتان الفحل: الصخرة يجرفها السيل فتبقى في الماء.

[4]. رومية، وهب:**"الرحلة في القصيدة الجاهلية"** ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م: 57

فَاقْطَعْ لُبَانَتَهُمْ بِذاتِ بُرَايَةٍ أُجُدٍ إذا وَنَتِ الركابُ تزيَّدُ[1] **(الكامل)**

والجمل أبرز حيوان عرفه العربيّ في رحلته سواءٌ أكان الرحيل بدافع البحث عن الطعام والشراب، أم بدافع الخوف من مكروه، وهو أقدم الحيوانات التي أعزّها الجاهلي، فهو يحمل أحزانهم وهمومهم، كما يحمل تجارتهم وماءهم، ويعطيهم الوبر واللبن واللحم ؛ لذلك استعانوا به على همومهم. يقول الحارث بن حلزة:

غَيْرَ أنّي قَدْ أسْتَعِينُ عَلى الْهَمِّ إذَا خَفَّ بِالثّوىّ النَّجَاءُ

بِزَفُوفٍ كأنَّها هِقْلَةٌ أمُّ رِئَالٍ دَوِيّةٌ سَقْفاءُ[2] **(الخفيف)**

ث - المعتقدات الدينية والأساطير:

أثرت المعتقدات الدينية والأساطير التي توارثها العرب عن أجدادهم في رسم صور كل من الطير والحيوان، فقد حازت بعض الطيور والحيوانات على التقديس عند بعض القبائل، فالعرب كغيرهم من الشعوب اعتقدوا أن للحيوانات علاقة بالجن، فكان منهم من يرى أنها نوع من الجن لذلك آمنوا بوجود قوى خفية في بعضها.[3] وكان تعلق العرب بأنواع معينة من الحيوانات باعث الأساطير حولها، "ومن شدة تعلق العرب بالخيل حيكت حولها أساطير غريبة وعجيبة"[4].

---

[1]. عبيد بن الأبرص: الديوان 59 . اللبانة: الحاجة من غير فاقةن بل مما يهم به أمر ليفعل. البداية: النحاتة. الأجد: الناقة الموثقة الخلق.

[2]. ابن حلزة، الحارث، **ديوانه** دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، 2004م: 21. خف: أسرع. الثوي: المقيم. النجاء: السرعة. الزفيف: السرعة وأكثر ما يستعمل في النعام، والزفوف: مبالغة. الهقل: النعامة. الرئال: جمع رأل وهو ولد النعامة. دوّية: منسوبة إلى الدوّ، وهي الصحراء الواسعة تدوي بها في سرعتهانعامة لها أولاد مرتفعة لا تفارق الصحاري.

[3]. علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1970م: ج6: 816.

[4]. القيسي، نوري حمودي: **"الفروسية في الشعر الجاهلي"**: 165

وللعرب طقوس كثيرة في قرابينهم ونذورهم. ذكر القرآن الكريم منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. **قال تعالى: "مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ"** [1]. "قال ابن اسحاق فأما البحيرة فهي بنت السائبة، والسائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها، ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف؛ فإذا نتجت بعد ذلك أنثى شقت أذنها، ثم خلّي سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة: الشاة إذا أتْأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة قالوا: قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله، ذكورهم وإناثهم. قال ابن هشام: ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم."[2]

وقد كانت أساطيرهم وخرافاتهم نابعة من إغواء الشياطين، ففي قوله تعالى على لسان الشيطان: **" وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً"** [3] إشارة إلى بعض الأساطير والخرافات التي سادت بفعل الشيطان سواء أكانت تتعلق بالإنسان أم الحيوان، فالشيطان منبع الفساد، وأساس الأفعال القبيحة. هو الذي صرح بنيته في إضلال بني آدم، وتمنيتهم بالأمنيات الكاذبة، كالسعادة الموهومة، واللذة الكاذبة، كما صرح بدفعهم للقيام بشعائر سخيفة وأساطير، كتمزيق آذان الأنعام ليصبح ركوبها بعد ذلك حراما عندهم، وهو ليس محرما عند الله.[4]

وقد عبد العرب أصناما عديدة على هيئة الطير والحيوان، فكان منها ويغوث وهو على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر[5]. كما عرفوا الهامة والصدى،

---

[1] . سورة المائدة 103

[2]. ابن هشام: **"السيرة النبوية"** تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط2، مج1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م: 89.

[3] . النساء آية 119

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج2: 760 -761

[5]. راجع علي، جواد: " المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" : ج6: (260 -264)

"وكان العرب إذا مات أحد أقربائهم يذبحون على قبره ناقة، أو يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين أن الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة أو الصدى"[1]

ومن المعتقدات ربط الناقة عند قبر صاحبها وتركها حتى تموت. "والبَلِيَّة: الدابة التي كانت في الجاهلية تُشدّ عند قبر صاحبها وتشد على رأسها ولية، فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت."[2]

إن إيمان العربي بمثل هذه المعتقدات والأساطير دفعه إلى تصوير هذه الأنواع من الطيور والحيوانات تصويراً خاصاً فتفنن في رسم صورها، وأكثر من ذكرها مقارنة بغيرها من الطيور والحيوانات.

ومن الملاحظ أن الظروف السابقة _سواء الطبيعية منها أم الاجتماعية_ أبرزت بشكل كبير الإبل مقارنة بغيرها من الحيوانات، وهذا يؤكد أسباب الصورة المثالية التي رسمها الجاهلي لهذا الحيوان في كثير من أشعاره، ولكن لا يعني أن الإبل هي الحيوان الوحيد الذي حاز على عناية الجاهلي، فقد أثرت الظروف السابق _كما نعلم_ على صور حيوانات أخرى كالخيل والثيران والكلاب وغيرها، بالإضافة إلى التأثير في صور بعض الطيور.

***علاقة الصورة في الإنسان العربي:**

لقد أثر الإنسان العربي في صورة كل من الطير والحيوان، فهو مبدع الصورة وأساسها، وكان تأثيره ينبع من مؤثرات عدّة أهمها:

مبادئ العربيّ وأخلاقه:

اتصف الإنسان العربي بمبادئ وأخلاق امتاز بها عن غيره، وكانت مبادؤه وأخلاقه حصيلة تأثير البيئة عليه. "فالجفاف والجدب ووعورة الحياة هي التي حددت القيم الأخلاقية عند

---

[1]. القيسي، نوري حمودي: **"الفروسية في الشعر الجاهلي": 121.**

[2] . ابن فارس، أبو الحسين أحمد **"مقاييس اللغة"** تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979م: ج1\ 292.

العرب: فشعور العرب بالضعف أمام قوة الطبيعة وقسوتها هو الذي فرض عليهم تقديس القوة والبسالة، وهو الذي جعلها مبدأ من مبادئ السيادة عند العربي"[1] وهذا ما أثر على صورة الطيور والحيوانات التي تمتلك القدرة على الصمود أمام هذه الطبيعة القاسية ولعل هذا أحد الدوافع التي جعلت الجاهلي يميل إلى تقديس أنواع معينة من الطيور والحيوانات.

والعرب يميلون إلى الحرية، وخاصة الحرية الشخصية التي لا يسمح لأحد مهما كان شأنه أن يحدّها أو يقيدها، "فهم لا يدينون بالطاعة لرئيس ولا حاكم، وتأريخهم في الجاهلية حتى وفي الإسلام - سلسلة حروب داخلية"[2]." والعربي مجبول على الحرية، وهو لا يطيق الخضوع لأحد غير قبيلته على أن لا يؤثر ذلك في حريته الشخصية..."[3]. لعل هذا ما جعلهم يعجبون بقدرة الطيور على الوصول إلى أبعد المناطق وأعلاها، فالعلو والانطلاق هما من مظاهر الحرية.

وإيمان العرب بهذه المبادئ والأخلاق كان له تأثير واضح على صورة الطير والحيوان عندهم، فإيمانهم بالحرية والقوة، وتمسكهم بفكرة الثأر؛ جعلهم يخترعون أساطير عديدة، فالهامة والصدى -إن صح التعبير - أحد الأساطير التي نبعت من تمسك العرب بالثأر، حيث راحوا يزعمون أن القتيل يخرج من رأسه طائرة يظل يصيح اسقوني حتى يؤخذ بثأره؛ وذلك من أجل إبقاء فكرة الثأر قائمة فلا يتنازل ذوو القتيل عن الثأر، ظنا منهم أن القتيل لن يرتاح حتى يؤخذ بثأره.

ورغم تعود العربي على الحرب والقتال، فإنه يحمل كثيرا من الصفات الحسنة، وقبائل العرب ليست كلها سواء في الشر، فقد اشتهرت بعض القبائل بالكرم والسماحة والترفع عن الدنايا.[4] وهذه الصفات كانت وراء عنايتهم بالحيوان، خاصة الكلاب التي كدّ أصحابها في

---

[1] .العشماوي، محمد زكي: **"النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية"** دار النهضة العربية، بيروت 1980م: 220.

[2] . السابق 267

[3] . علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"**: ج4\ 408

[4] . السابق 274

تدريبها، وتعويدها العادات الحسنة عند مشاهدة ضيف قادم إليهم، لذلك افتخروا بإلفها للوافدين.[1] والعرب البدو يختلفون عن الحضر في المبادئ والأخلاق، "والبدوي يحتقر الحضري مهما أكرمه، كما أن الحضري يحقر البدوي فإذا وصف البدوي الحضري، فإنه في الغالب يقول حُضري تصغيرا لشأنه"[2]

ومع حرص العربي على مكارم الأخلاق، وحبّه لبعض الصفات كالشجاعة والقوة - ارتفعت قيمة بعض الحيوانات عنده، فقد رفع ميل العربي للفروسية كصفة من صفات الشجاعة من قيمة الخيل عنده. والفراسة والفروسة والفروسية هي الحذق بأمر الخيل وركوبها والثبات عليها والتعرف على أحوالها.[3]ومن الملاحظ أن مبادئ العربي وأخلاقه أثرت هي الأخرى على صورة بعض الحيوانات والطيور، حيث حددت عنايته بأنواع معينة من الطيور والحيوانات.

*** تعلق العربيّ بالصحراء وحبّه للطبيعة:**

عشق العربي حياة الصحراء وتعلق بها، فتعرف إلى كل جزء فيها، وكشف أسرارها، واندمج مع الطبيعة حتى أصبحت جزءا من حياته، فتغنى بها، وأخذ يعقد المقارنات بين مخلوقاتها، وقد حازت طيورها وحيواناتها على عنايته؛ لذلك خصها بأروع الصور التي تعكس تمسكه بالحياة، وسعيه للمحافظة على وجوده، فوجوده في هذه الطبيعة جزء من وجود هذه المخلوقات. والصحراء للجاهلي هي الموطن الذي ضمه صغيرا ورباه كبيرا.

ومن منطلق هذا الاندماج بين الطبيعة والإنسان الجاهلي "كان الشاعر في كثير من المواطن عاشقا فتنته هذه الطبيعة فراح يصورها ويتقن تصويره ويجوده وعندما رحل ناقته وقف يرسم لوحات صغيرة حافلة بالحياة ومشاهد الصحراء التي تصادفه بما فيها من حيوان وماء وسراب وسوى ذلك"[4]

---

[1] . راجع صورة الحيوان البيتي الفصل الأول من هذا البحث.

[2] . علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"**: ج275/1

[3] . القيسي، نوري حمودي: **"الفروسية في الشعر الجاهلي"** : 26.

[4] . رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: 90.

وجد الجاهلي أن الحيوانات أفضل وسيلة خففت عنه ضغط الحياة، وساعدته في التمسك بموطنه، لذلك راح يصور كلّ ما عرف منها خالعا عليها مشاعره، سواء أكانت مشاعر حزن أم فرح، فإذا ما شعر بالسعادة نثر على صورها ألوانا من فرحه وسعادته. وإذا شعر بالحزن والأسى وجد فيها مثالا للصديق المخلص الذي يخفف عنه مشاعر الحزن. ها هو امرؤ القيس يقطع القفار بصحبة ركوبته، فهي أنيسه في مسيرته وهي نعم الصديق:

قد أقطَعُ الأرضَ وهْيَ قَفْرُ وَصَاحِبي بازِلٌ شِملالُ[1] **(مخلع البسيط)**

ومن مظاهر تعلق الجاهليين بالطبيعة اقتناعهم بفكرة التطير، "كأنهم في ذلك يستنطقون الطير أن تنبئهم بما يريدون معرفته، لأن استمرار جهلهم به استمرار للقلق والخوف" [2]. يقول الأعشى:

تُخَبّرُهُنَّ الطيرُ عنك بأوْبَةٍ وعَيْنٌ أقرَّتْ نوْمَها بِلقائكا[3] **(الطويل)**

وعلى ما يبدو فإن الدوافع التي جعلت العربي متمسكا بما حوله من مخلوقات كثيرة، وهي بمجملها تنم عن علاقة وطيدة بين الجاهلي وموطنه، خضعت لمؤثرات عدة، أهمهما طبيعة الصحراء، فقد كانت أشبه ما تكون بمثلث تشكلت أضلاعه الثلاثة من الإنسان والطير والحيوان.

---

[1] . امرؤ القيس: "ديوانه" 159. البازل: الحمل الذي طلع نابه. شملال: سريع.

[2] . الرباعي، عبد القادر:**"الطير في الشعر الجاهلي"** : 102.

[3] . الأعشى، ديوانه، 134. الأوبة: العودة. قرت عينه: بردت سرورا ورأت ما تتمنى. المعنى: يقول إن نساءك يزجرن الطير، فتخبرهن بقرب عودتك، فتغمض أعينهن عل أمل اللقاء القريب الجميل.

الفصل الثاني

توظيف الصورة في القرآن الكريم

مدخل...

المبحث الثاني: الصور المفردة.

المبحث الثالث: الصور المركبة.

المبحث الرابع: الصور المجازية.

المبحث الخامس: الصورة الرامزة.

المبحث السادس: جمالية اختيار الألفاظ وتناسق الصور.

الفصل الثاني

توظيف الصورة في القرآن الكريم

مدخل:

حازت الحيوانات والطيور على نصيب كبير من العناية عند العرب قبل الإسلام، ومع ذلك كانت العلاقة بين الجاهلي وهذه المخلوقات علاقة غريبة بعض الشيء، حيث قدّسها وفتك بها في الوقت نفسه. ومع ظهور رسالة الإسلام، ونزول القرآن الكريم توضحت العلاقة بين جميع المخلوقات على الأرض. **قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"**[1]. إن هذه الآية إذ توضح علاقة المخلوقات أحسن توضيح، فإنها تلخص تلك الحقيقة التي أوجد الله بها الكائنات؛ حيث خاطب الإنسان بقوله: (إلا أمم أمثالكم)، فهذه المخلوقات ليست سوى مخلوقات دالة على الخالق محتاجة إليه مرزوقة من جهته؛ لذلك فإن عبادتهاعبث، وتقديسها خطأ، فهي مسخرة على هذه الأرض لخدمة الإنسان.

وقد ضرب الله المثل للإنسان بهذه الحيوانات والطيور ؛ لعله حين يتفكر في مخلوقات الله يهتدي إلى خالقه، ويستشعر عظمة الخالق، وحسن تصويره. **قال تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"**[2]. في هذه الآية خطاب رباني موجه للناس فالمتأمل فيها يجد التعبير السليم، والدقة الغريبة في اختيار الإبل من سائر الحيوانات، فرغم معرفة الإنسان بهذا الحيوان، وإيمانه بفوائده المتعددة، كالقدرة على تحمل البيئة القاسية، والصبر على الجوع والعطش. إلا أنه غفل عن خالق هذا الحيوان، فراح يعبد المخلوق دون الخالق، لهذا جاء خطاب الله للناس "آمرا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته،فإنها خلق عجيب، وتركيبها غريب، فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع

---

[1] . الأنعام: 38.

[2] . الغاشية: 17.

بوبرها، ويشرب لبنها، ونبهوا إلى ذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل" 1. وطبيعة الأبل تعكس إبداع الخالق، وقدرته العظيمة. "أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ نظر اعتبار كَيْفَ خُلِقَتْ خلقا عجيبا، دالا على تقدير مقدر، شاهدا بتدبير مدبر، حيث خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاحطة، فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر، ثم تنهض بما حملت، وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمّتها : لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا ، وبرأها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار."[2]

يقول القرطبي: "قالت المفسرون: لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا، وأنكروا، فذكرهم الله صنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسماء والأرض ثم ذكر الإبل أولا لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة، فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه، وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره فأراهم عظيما من خلقه مسخرا لصغير من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته"[3].

إن في هذه الصورة تكاملا عجيبا يكمن في الربط بين السماء والأرض، فنحن إذ نقرأ هذه الآيات تتجلى أمامنا لوحة فنية دقيقة. "لوحة قاعدتاها السماء والأرض اتجاهان أفقيّان. بينهما في الاتجاه الرأسي: الجبال والجمال... أبرز الأشكال والأحجام على الأرض في عالم الجماد وعالم الحيوان... والجمل هو الحيوان المناسب في الاتجاه الرأسي على كل حال... بالإضافة إلى أنه أليف الصحراء الفسيحة التي تحدها السماء والجبال!!"[4]. يقول سيد قطب: " فهذه ريشة تجمع بين السماء والأرض والجبال والجمال، في مشهد ملحوظ حدوده تلك الآفاق الوسيعة من الحياة والطبيعة، والملحوظ هنا هو (الضخامة) وما تلقيه في الحس من استهوال؛ والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة، والاتجاه الرأسي

---

[1] . ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل: **"تفسير القرآن العظيم"** ، دار إحياء الكتب العربية، ج:4 503

[2] . الزمخشري، جار الله : **"الكشاف"** دار الكتاب العربي ــ بيروت،ج4: 1407ه: 744.

[3] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **" الجامع لأحكام القرآن"** دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: 1967م:ج20 (34-35)

[4] . زرزور، عدنان محمد: **"علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه "** ط1، المكتب الإسلامي، بيروت 1981م: 345

بينهما في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة السنام. هذه دقة تأخذها عين المصور المبدع، في الأشكال والأحجام."[1]

والصور القرآنية دقيقة، فهي تقوم على أسس واضحة، ففيها التخيّ الحسي، والتجسيم. والمناظر فيها حية، والمشاهد مليئة بالحركة والحياة. والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة والمتخيلة عن العالم الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس،والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، " ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية."2

وفي صوره وظف التعبير القرآني كثيرا من ألفاظ الحيوانات والطيور، مستغلا هذه المخلوقات في توضيح أهدافه، فالقرآن الكريم حافل بالصور الفنية التي تعكس لنا معاني عظيمة، وتحمـ لنا عبرا قيمة. ويمكننا تقسيم الصور التي وُظفت فيها الحيوانات والطيور على النحو الآتي:

***الصور المكررة**

يندرج تحت هذا العنوان تلك الصور التي تكرر ورودها في القرآن الكريم، سواء أكانت مكررة باللفظ نفسه أم في المعنى. فالحيوانات والطيور تعد عنصرا بارزا من عناصـــر القــصة القرآنية ولها حضور مميز في سور القرآن الكريم بشكل عام. والمتدبر لهذه الــصور فـــي آي القرآن يجد مجموعة منها قد تكررت، "وتكرار الصورة على الحس يدنيها من النفس"[3]. "ومن الظواهر الغنية التي اتسم بها أسلوب القرآن؛ والتي رأى فيها الاعادي والمتشككون والسطحيون مجالا للطعن في أسلوب القرآن ظاهرة التكرار والتطويل في بعض الأحيان؛... وتكرار القــصة

---

[1] . قطب، سيد: **" التصوير الفني في القرآن"**، دار الشروق، القاهرة: 123

[2] . السابق 36

[3] . شرف، حفني محمد:**"التصوير البياني"** مكتبة الشباب، القاهرة:1970: 138 .

القرآنية –مثلا - عن مواطن متفرقة عمل يحسب لصالح الأسلوب القرآني، وظاهرة بلاغية وإعجازية لو عقل هؤلاء..."[1]

وبرزت الصور المكررة للحيوانات والطيور في الآيات القرآنية التي تتحدث عن قصص الأنبياء ومعجزاتهم، وقد جاء التكرار لأهداف وغايات مختلفة. حيث "يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدّد مساق القصة والحلقة التي تعرض منها، والصورة التي تأتي عليها، والطريقة التي تؤدى بها تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القراني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى. ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار."[2]

كرر التعبير القرآني ألفاظ الحيوانات والطيور، لأهداف وغايات، فجاء بالتكرار ضمن عدة أشكال عدة يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أولا - تكرار الألفاظ الدال على الحيوان.

يندرج تحت تكرار اللفظ الدا على الحيوان استخدام لفظ الحيوان نفسه، أو استخدام اللفظ ومرادفه، وخير مثال على هذا النوع من التكرار أفعى موسى عليه السلام. ونحن نعلم أن حية سيدنا موسى عليه السلام كانت معجزة الله إلى فرعون وقومه، أرسلها لإظهار ما هم فيه من الضلال والتيه. وقص لنا القرآن الكريم قصة سيدنا موسى مع فرعون في سور عدة كالأعراف والشعراء وطه الآنبياء وغيرها... وجاء ذكر المعجزة (الحية) في القرآن الكريم ثلاث مرات. حيث استخدم الله تعالى لفظ الثعبان مرتين بينما استخدم لفظ الحية مرة واحدة. **قال**

---

[1] . دوب، رابح: **"البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"** دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة، ط1 1997: 468

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ،ط35، دار الشروق ، بيروت،2005م:ج1: 55.

تعالى: " فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ"[1]. **وقال: " فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى"**[2]. نلاحظ في الآيتين تغير اللفظ الدال على المعجزة، ففي الآية الأولى نجد التعبير عن المعجزة بلفظ الثعبان. بينما يعبر عنها في الآية الثانية بلفظ الحية، واللفظان لمدلول واحد. وهو معجزة سيدنا موسى عليه السلام.

تكمن بلاغة التصوير في الآيتين السابقتين في تكرار اللفظ. فإذا تأملنا الآيات التي ورد فيها لفظا الحية والثعبان، نجد أن لفظ الحية استخدم عندما أمر الله موسى أن يلقي عصاه، وهو في الوادي المقدس، فتحولت العصا إلى (حيَّة) صغيرة، وهذا مناسب لسيدنا موس لأن المطلوب أن يرى معجزة، ولا أن يخاف منها، لذلك تحولت العصا إلى حية.

أما لفظ الثعبان، فقد استخدم في موقف آخر، وهو مواجهة موسى للطاغية فرعون. هنا أمام الطاغية تتحول العصا إلى ثعبان، والثعبان في اللغة هو الحية الكبيرة. فالآيات التي ذُكرت فيها كلمة (ثعبان) تختص بالموقف أمام فرعون. والمطلوب في تلك اللحظة إخافة ذاك الطاغية؛ لعله يؤمن أو يصدق ما جاء به موسى عليه السلام. " فوصف العصا بأنها ثعبان مبين إنما ذكره القران الكريم في سياق الحديث عن فرعون... ولا شك أن هذا الوصف (ثعبان مبين) يتسق منسجما مع السياق، لأن ما تعطيه هذه الكلمة تجد فيه النفس من الرهبة ما ليس في الوصفين السابقين، والمقام مقام تخويف ورهبة"[3]

واستخدام اللفظ في الآيتين السابقتين جاء لغاية أرادها الله لذلك نراه لا يستخدم أيّا من اللفظين في مواجهة موسى للسحرة، فأمام السّحَرَة نجد أن القرآن لا يتحدث أبداً عن عملية تحول العصا إلى ثعبان أو حية، بل نجد أن العصا تبتلع ما يأفكون. قال تعالى:**" فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ"** [4] وقال في آية أخرى:**" وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا**

---

[1] . الأعراف 107 والشعراء 32

[2] . طه 20

[3] . عباس، فضل حسن: **"قصص القرآن الكريم"** ط2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2007م: 508.

[4] . الشعراء آية 45

كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى"[1]. وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه والله تعالى أعلى وأعلم. فالمقام في لقاء موسى مع السحرة لم يكن الهدف منه التخويف، إنما كان الهدف إثبات المعجزة أمام الملأ، وتبليغ رسالة عظيمة لمن حول فرعون من الضعفاء وعامة الناس.

ومن ألفاظ الحيوان التي كرر التعبير القرآني ذكرها في صوره الفنية لفظ الأنعام **قال تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"**[2]. **وقال: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"** [3]

ففي الآية الأولى شبه الله الذين لا يتفكرون في آيات الله الكونية بالأنعام، وهذا تصوير قوي يستحقه هؤلاء. وما زاد قوة التشبيه هنا إضراب التعبير القرآني عنه بقوله: (بل هم أضل سبيلا) فهم عندما حكموا أهواءهم استحقوا هذه الصورة. "وفي التعبير تحرز وإنصاف، إذ يذكر (أكثرهم) ولا يعمم، لأن قلة منهم كانت تجنح إلى الهدى، أو تقف عند الحقيقة تتدبرها، فأما الكثرة التي تتخذ من الهوى إلها مطاعاً، والتي تتجاهل الدلائل وهي تطرق الأسماع والعقول، فهي كالأنعام. وما يفرق الإنسان عن البهيمة إلا الاستعداد للتدبر والإدراك، والتكيف وفق ما يتدبر ويدرك من الحقائق عن بصيرة وقصد وإرادة واقتناع، ووقوف عند الحجة والإقناع. بل إن الإنسان حين يتجرد من خصائصه هذه ليكونن أحط من البهيمة، لأن البهيمة تهتدي بما أودعها الله من استعداد، فتؤدي وظائفها أداء كاملا صحيحا"[4].

أما في الآية الثانية فقد شبه الله كل من دخل جهنم من الجن والإنس بالأنعام، وهذا تحقير لشأنهم وتقليل لقيمتهم، فلولا غباؤهم وقلة عقلهم لما دخلوا جهنم، وهم يعلمون طريق النجاة . "فللأنعام استعدادات فطرية تهديها. أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والأذن الملتقطة. فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا وإذا مروا بالحياة

---

[1] . طه69

[2] . الفرقان 44

[3] . الأعراف 179

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5\ 2566.

غافلين لا تلتقط قلوبهم معانيها وغاياتها، ولا تلتقط أعينهم مشاهدها ودلالاتها، ولا تلتقط آذانهم إيقاعاتها وإيحاءاتها...فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة على استعداداتها الفطرية الهادية"[1]

ومن ألفاظ الحيوان التي كرر التعبير القرآني استخدامها لفظ الدواب، وقد جاء هذا اللفظ في تصوير الكفار. **قال تعالى:" إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ "**2. **وقال: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "**3. أن هذا التصوير القرآني يخفي في ظلاله صورة لهؤلاء الكفار، الذين يعيشون في الأرض كما تعيش الدواب، فيأكلون، ويتمتعون، ولا يشكرون خالقهم على نعمه، لذلك استحقوا هذه الصورة اللاذعة الرادعة. "فإن الدواب تطلق عادة على الحيوان، وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنه يدب على الأرض _لكن شمولها هذا للإنسان ليس هو الذي يتبادر على الذهن، لأن للعادة حكمها في الاستعمال. فاختيار كلمة (الدواب) هنا، ثم تجسيم الحالة التي تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم (الصم البكم) كلاهما يكمل صورة الغفلة والحيوانية، التي يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون لأنهم (لا يعقلون)"4 وقد جاء التكرار هنا مناسبا للصورة التي أراد التعبير القرآني إيصالها للناس، ففي الآيتين تتجلى صورة الكفار الحقيقية التي تعكس دناءة نفوسهم، وتفاهة عقولهم.

ومن ألفاظ الحيوان التي تكرر ذكرها في التعبير القرآني لفظ القردة . وقد تكرر هذا اللفظ في الآيات التي تحدثت عمن اعتدوا في السبت من بني إسرائيل، ولفظ القردة يليق بهؤلاء وينطبق عليهم. **قال تعالى: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"**5. **وقال تعالى:" قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**

---

[1] . السابق ج3\ 1401

[2] . الأنفال آية 22

[3] . الأنفال آية 55

[4] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"** 90

[5] . البقرة 65

وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ"[1] **وقوله: "فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"** [2]

قيل إن استخدام كلمة قردة هنا من باب المجاز، فهي تدل على مدى انحطاط هؤلاء. وقد جاء هذا اللفظ ليقدم عبرة لكل إنسان لا يملك الإرادة القوية لردع شهواته وأهوائه. يقول ابن كثير: "قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد {فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين } قال: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وإنما هو مثل ضربه الله {كمثل الحمار يحمل أسفارا }"[3]. فالمسخ إلى قردة قد يكون على سبيل المجاز فعلا ، فليس من الضروري أن يكون المسخ حقيقة. لقد جاء التعبير القرآني مناسبا لأعمالهم الخبيثة. "لقد حق عليهم جزاء النكول عن عهدهم مع الله، والنكوص عن مقام الإنسان ذي الإرادة. فانتكسوا إلى عالم الحيوان والبهيمة، الحيوان الذي لا إرادة له، والبهيمة التي لا ترتفع على دعوة البطون انتكسوا بمجرد تخليهم عن الخصيصة الأولى التي تجعل من الإنسان إنسانا. خصيصة الإرادة المستعلية المستمسكة بعهد الله، وليس من الضروري أن يستحيلوا قردة بأجسامهم، فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم، وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجوه والملامح سمات تؤثر في السحنة وتلقي ظلها العميق"[4]

ثانيا: تكرار صفات الحيوان.

ومن الصور المكررة التي أسقط فيها القرآن صفات الحيوان على غير الحيوان قوله تعالى في وصف الحجارة المرسلة على قوم لوط: **"مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ"**[5]. وقوله في موضع آخر: **"قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ**

---

[1] . المائدة 60

[2] الأعراف 166

[3] . ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل: **"تفسير القرآن العظيم"** ، دار إحياء الكتب العربية، ج1 \ 105

[4] . قطب سيد: **"في ظلال القرآن"** ج1\: 77

[5] . هود 83

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ"[1] . فقد تكرر وصف الحجارة المرسلة على قوم لـــوط بالمـــسومة. "وهذه استعارة لأن حقيقة التسويم هي العلامات التي يعلم بها الفرسان والأفراس في الحـــرب"[2]. وجاء في لسان العرب: "وسَوَّمَ الفرسَ جعل عليه السِّيمة وقوله عز وجل حجـــارةً مـــن طـــينٍ مُسَوَّمَةً عند ربك للمُسْرفين قال الزجاج: روي عن الحسن أَنها مُعَلَّمة ببياض وحمرة وقال غيره مُسَوَّمة بعلامة يعلم بها أَنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أَنها مما عَذَّبَ اللهُ بها"[3].

جاء في تفسير القرطبي للآية الأولى: "«مسومة» أي معلمة، من السيما وهي العلامـــة؛ أي كان عليها أمثال الخواتيم. وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به، وكانت لا تـــشاكل حجارة الأرض"[4]. هذا الكلام صحيح، وهو يؤكد ما نذهب إليه، فقد أثر عن العرب أنهم كـــانوا يسومون دوابهم بعلامات تميزها عن غيرها من الحيوانات، ولم يُؤثر عنهم أنهم كانوا يـــسومون حجارة المكان أو ما شابهها، لذلك فاستخدام هذه الكلمة والله تعالى أعلى وأعلـــم علـــى ســـبيل المجاز. يقول سيد قطب في تفسير **قوله تعالى:" مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ".5** : "هذه الحجارة مسومة عند ربك. كما تسوم الماشية أي تربى وتطلق بكثرة. فكأنما هذه الحجـــارة مرباة! ومطلقة لتنمو وتتكاثر! لوقت الحاجة.. وهو تصوير عجيب يلقي ظله فـــي الحـــس، ولا يفصح عنه التفسير، كما يفصح عنه هذا الظل الذي يلقيه.."[6]

وقد استخدم القرآن الكريم لفظ التسويم في وصف الخيل، وذلك في قوله تعـــالى:"**زُيِّـــنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُـــسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**"[7]. وجاء في تفسير القرطبـــي

---

[1] . الذاريات آية (32-34)

[2] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** تحقيق وتقديم: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيـــروت، لبنان، 1986: 108.

[3] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م: ج12 312

[4] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن"**، دار الكاتب العربـــي للطباعـــة والنـــشر، القاهرة: 1967م: ج9: 83

[5] . سورة هود آية 83

[6] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4\ 1915.

[7] . آل عمران 14

لهذه الآية: "«المسومة» يعني الراعية في المروج والمسارح؛ قاله سعيد بن جبير. يقال: سامت الدابة والشاة إذا سرحت تسوم سوما فهي سائمة. وأسَمتُها أنا إذا تركتها لذلك فهي مسامة. وسومتها تسويما فهي مسومة"[1]. فالتسويم إذن صفة من الصفات التي اختصت بها الخيول والدواب. وعلى ما يبدو فإن استخدام هذه الكلمة في وصف الحجارة التي عذب الله بها قوم لوط جاء من باب المجاز، وقد كرر التعبير القرآني وصفها، للدلالة على أن هذه الحجارة هي جند من جنود الله التي أرسلت للقضاء على قوم لوط، فهي كالخيل في ميدان المعركة، تشارك في الحرب مشاركة الفرسان، فتعرف هدفها والغاية التي أرسلت من أجلها.

*** الصور المفردة.**

ورد في القرآن الكريم عدد من الصور المفردة، التي وظف التعبير القرآني فيها ألفاظ الحيوانات والطيور. ونقصد بالصورة المفردة الصور الفنية المشتمل فيها الأسلوب على صورة واحدة. ويمكننا دراسة هذه الصور من خلال التشبيه المفرد، الذي استغل القرآن الكريم فيه الحيوان في الحديث عن أصناف معينة من الناس.فجاء باللفظ الدال على الحيوان؛ لغاية أرادها عز شأنه. ولا شك أن المشبه استحق الشبه بحال أو بأخرى. فقد اختار التعبير القرآني من الحيوانات ما يناسب المواقف والصور المعروضة. فكان منها:

أ - الحمر الوحشية.

جاء اختيار الحمر في الحديث عن النافرين من الدعوة الإسلامية في **قوله تعالى: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ"2**. حيث شُبّه الله تعالى حال هؤلاء في إعراضهم، ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد والرماة، ففرت منهم. فالقوم بهذا الجهل كالحمر الوحشية، فهي سريعة الهرب لا تقف فتستطلع صوتا سمعته، أو أمرا تشكُّ به، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور؛ وذلك خوفا على حياتها، وهذا غاية الذم لهؤلاء، حيث نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، كنفور الحمر عما يهلكها

[1] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**"ج4: 33

[2] . المدثر:(49-51)

ويعقرها. فهي هنا أفضل حالا منهم لأنها فرّت من هلالكها إلى خلاصها. بينما هم فـروا مـن الأمان إلى الضياع وكل هذا الفرار بدافع الخوف على مصالحهم وامتيازاتهم. يقول صـاحب علوم القرآن: "فلم يكتف في تصوير إعراضهم بقوله: إنهم كالحمير، بل صـوّر نُفـرتهم مـن الدعوة، وحركتهم الهوجاء التي لا تعقل_في الابتعاد عنها_ بقوله: كأنهم حمر مستنفرة "تحمـل نفسها على الهرب، وتحثها عليه" ثم أضاف إلى ذلك أن الذي يزيد في هربهـا وفرارهـا أسـدٌ هصور يجري خلفها، فهي تتفرق في كل مكان، وتجري غير مهتدية في جريها، وهي جـادة لا تلوي على شي!!"[1]

ب - الناقة والحمار

عرفنا أن الناقة حازت على نصيب كبير من العناية عند الجاهليين، فكانت العملة التـي تداولوها والوسيلة التي استخدموها. أما الحمار فكان هو الآخر وسيلة استخدمها العربي للتنقل، وحمل الأمتعة من مكان إلى آخر. "ويظهر من ملاحظات بعض الباحثين إن الحمار في جزيرة العرب هو أقدم عهداً من الجمل ومن الخيل والبغال، إذ كان واسطة الركوب والتنقل في أوائـل الألف الثانية قبل الميلاد .فلما حل الجمل محله خفف من واجباته وأعماله، وصار عند العـرب في مرتبة هي دون مرتبة الجمل بكثير."[2]

وقد جاء التعبير القرآني بصورة هذين النوعين من الحيوان موافقة لخبرة العربي بهما فكان الحمار مثيلا لأصحاب الأصوات العاليـة، وكـان الجمـل المـصاب بالـصعر مثـيلا للمتكبرين.**قال تعالى: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"**[3]. في هذه الآيـة صورتان. تتمثل الأولى في تشبيه حركة المتكبر المعرض عـن الآخـرين بالناقـة المـصابة بالصعر. جاء في لسان العرب: " وقيل الصَّعَرُ داءٌ يأْخذ البعير فيَلْوِي منه عُنُقَه ويُميلُه."[4]

---

[1] . زرزور، عدنان محمد: **"علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه"**: 330

[2] . علي، جواد: "المفصل في تاريخ العرب" :ج1\ 202

[3] . لقمان (18-19)

[4] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م: مج4\ 456

وقد نهى الله تعالى عن الكبر وإدارة الوجه للآخرين، منفّرا من هذه الصفة بهذا التصوير. "والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر. حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار"[1]. و"يقال: أصاب البعير صَعَر وصَيَد إذ أصابه داء يلوي منه عنقه. ثم يقال للمتكبر: فيه صعر وصيد؛ فمعنى: «لا تصعر» أي لا تلزم خدّك الصعر"[2].

أما الصورة الثانية فتتمثل في تصوير الصوت المرتفع أثناء الحديث بصوت الحمير، والهدف من هذا التصوير هو التنفير من الصوت العالي، وحثّ الإنسان على االتواضع والالتزام بآداب الحديث، فلا يرضى إنسان عاقل أن يكون كالحمار لمجرد رفع صوته. فإذا كان أنكر الأصوات صوت الحمير، فهذا يعني أن صاحب الصوت العالي لا يختلف عن الحمار بشيء. يقول القرطبي: " (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) أي أقبحها وأوحشها؛ ومنه أتانا بوجه منكر. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ ومن استفحاشهم لذكره مجردا أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون: الطويل الأذنين؛ كما يكنى عن الأشياء المستقذرة. وقد عد في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة."3

إن هاتين الصورتين لاذعتان. حيث جاء اختيار هذا التصوير في القرآن نوعا من أساليب التربية، فقد كان حديث لقمان عليه السلام مع ابنه رسالة صالحة لكل زمان و مكان، استخدم فيها القرآن الكريم أسلوب التنفير؛ للوصول إلى غاية سامية. وهي تربية النفوس، وحثها على البعد عن التكبر، ورفع الصوت. "والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه؛ يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق! والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: (إن أنكر الأصوات لصوت

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 2790

[2] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج14: 69

[3] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج14 (71 -72)

الحمير) .. فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية، مع النفور والبشاعة. ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع، ثم يحاول .. شيئا من صوت هـذا الحمير..!"[1]

ت - الأنعام.

الأنعام لفظ أطلقه العرب على كـ من الغنم والبقر والإبل. جاء في اللسان. "قال الفـراء النَّعَم ذكر لا يؤَنث ويجمع على نُعْمانٍ مثل حَمَل وحُمْلانٍ والعرب إذا أَفردت النَّعَم لم يريدوا بها إلا الإبل فإذا قالوا الأنعام أَرادوا بها الإبل والبقر والغنم قال الله عز وجل **:(ومن الأَنْعام حَمولـةً وفَرْشاً كلوا مما رزقكم الله)**."2. وجاء في المفصل في تاريخ العرب: "ويطلق العرب على الإبل والبقر والشاء (النعم) وزاد بعض علماء اللغة المعز والضأن .وذكر بعض آخر، إن النعم، إنما خصت بالإبل، لكونها عندهم أعظم نعمة، وقيل إن العرب إذا أفردت النعم، لم يريـدوا بهـا إلا الإبل. فإذا قالوا الأنعام: أرادوا بها الإبل والبقر والغنم."[3]

أدرج القرآن الكريم لفظ الأنعام في تصوير الكفار حيث شبههم بها في **قوله تعـالى: "إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُـونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ"**4. في هذه الصورة يحط القرآن من قيمة الكافرين، ويذمُّ عقولهم التافهة، حيث اختار للكفار صورة مناسبة؛ فهم يقضون حياتهم في الأكل والشرب، ولا يدخرون أيّا من الأعمال الصالحة للآخرة. وكذلك الأنعـام، فهـي لا تفكـر إلا بطعامهـا وشرابها؛ لأنها خلقت على هذه الحال. بينما خُلق الإنسان لغاية. **قال تعالى: "وَمَا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"**5

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 2790

[2] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** ج12: 585

[3] . علي، جواد: **"المفصل في تاريخ العرب"**: ج7: 111

[4] . سورة محمد آية 12

[5] . سورة الذاريات 56

وقد استحق الكفار أن ينزلوا إلى مرتبة الأنعام، لأنهم ابتعدوا عما خلقوا من أجله. وهم بكفرهم وبعدهم عن طريق الله أضل من الأنعام، فهم يملكون عقولا يستطيعون من خلالها تمييز الخطأ من الصواب، ومع هذا تجدهم غافلين وهذا دليل على السفه والطيش لذلك "رسم لهم بهذا التشبيه صورة دقيقة: إنهم يأكلون ويتمتعون غافلين عن الجزاء الذي ينتظرهم، كما تأكل الأنعام وتمرح، غافلة عن شفرة القصاب، أوغافلة عما سوى الطعام والشراب"[1]

ث - الفراش والجراد

الفراش واحدته فراشة، وهي دواب صغار تطير وتحوم دائماً حول النور، أو حول النيران. **قال تعالى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ"**[2]في هذه الآية يشبه الله تعالى الناس عند خروجهم من القبور وهم يسيرون على غير هدى _في كل اتجاه _ بالفراش المبثوث.

وقد جاء تشبيه الناس عند خروجهم من قبورهم يوم القيامة مرّة بالفراش المبثوث، ومرّة بالجراد المنتشر، وذلك في **قوله تعالى: " يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" وقوله: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"**[3] . ولا تعارض في الصورتين، فإذا نظرنا إلى جانب حركة وتنقل " الفراش " نجد أن وضع سيره وحركته عشوائية من غير نظام، وأما الجراد فهو عكس الفراش، فاتجاه حركته واحد ويسير في أسراب منتظمة. "وكل من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شبه منهما. وقيل : يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، لأن الفراش لا جهة له يقصدها ، ثم كالجراد المنتشر إذا توجهوا إلى المحشر والداعي، فهما تشبيهان باعتبار وقتين"[4] .

---

[1] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"**91.

[2] . القارعة 4

[3] . القمر (6-7)

[4] . الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف: **"تفسير البحر المحيط"** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 م: 174/8.

نلاحظ أن التعبير القرآني في الآيتين جاء بصورتين لحالين مختلفين، وهذا من بديع التصوير، فلكل مقام مقال. يقول صاحب الكشاف: **"كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ** الجراد مثل في الكثرة والتموّج. يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض : جاءوا كالجراد ، وكالدبا منتشر في كل مكان لكثرته"[1]. إن ما ذهب إليه صاحب الكشاف يؤكد ما ذهبنا إليه، فإذا كان الجراد ينتشر انتشار الجيش هذا يعني أنه يسير بانتظام، كأنه يبحث عن شيء عزيز وغا ونفيس؛ لذلك فاختيار هذا اللفظ دون غيره للتعبير عن صورة الناس عند الحشر دليل على الدقة، "فهذا مشهد من مشاهد الحشر مختصر سريع، لكنه شاخص متحرك مكتمل السمات والحركات. هذه جموع خارجة من الأجداث في لحظة واحدة كأنها جراد منتشر"[2]

[1] . الزمخشرى، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر: **"الكشاف"** دار الكتاب العربي ــ بيروت: 1407 هـ: 4\432.

[2] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن الكريم"** 59.

الصورة المركبة

نقصد بالصورة المركبة ما اشتمـ فيها الأسلوب على أكثر من صورة. والأمثلة على هذا النوع من الصور في القرآن كثيرة، وظف التعبير القرآني في بعـضها الحيوانـات والطيـور مستغلا هذه المخلوقات لتقديم مشاهد أكثر تأثيرا وأشد وقعا. ومن الحيوانـات والطيـور التـي وظّفت في هذه الصور.

أولا: الحمار.

أدرج التعبير القرآني صورة الحمار في تصوير من حملوا التوراة في **قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّـذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "**[1]. الصورة البلاغية في هذه الآية مكتملـة، وواضـحة تمام الوضوح، وعناصرها مختارة بدقة، فهي منتزعة من واقع الحياة. "فالشبه منتزع من أحوال الحمار، إذ إنه يحمل الأسفار التي تضم المعارف والعلوم وثمار العقول، ولا يفقه مـا فيهـا ولا يعي ما تحويه من معرفة وعلم، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي قد ينـوء بهـا ظهـره والتي ليست من العلم في شيء"[2].

وفي الصورة تجميع لأحوال عديدة قُرنت معا حتى أخرجت صـورة مليئـة بالحركـة والحياة. يقول القزويني: " فإنه أيضا منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص، وهو الحمل وأن يكون المحمو شيئا مخـصوصا، وهـي الأسفار التي هي أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل بما فيها، وكذا في جانب المشبه"[3] يبرز جمال التصوير في هذه الصورة المركبة في حسن اختيار المثل، فهؤلاء الذين حملوا التـوراة، ولـم ينتفعوا بما فيها، كالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره فلا يدرك قيمتها. والتشبيه في الآيـة

---

[1] . الجمعة آية 5

[2] . شرف، حفني محمد: **"التصوير البياني"** مكتبة الشباب، القاهرة:1970: 114 .

3 . القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر: **"الإيضاح في علوم البلاغة"** ، ط4، ، دار إحياء العلوم، بيروت، 1998: (220 -221)

تمثيلي، ويكمن وجه الشبه في حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء في الانتفاع مع الكدّ والتعب، فيا لها من صورة لاذعة لو عقل هؤلاء!. لقد" قاس سبحانه من حمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب فقرأ به بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له(ولا) تحكيم له وعمل بموجبه، كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره."[1]وقد "شبه اليهود بالحمر لأنهم تحملوا دراسة التوراة وتركوا العمل بها فأتعبوا أبدانهم ولم ينتفعوا بها، فهذه الأمثال نموذجات ما غاب عن العين والأسماع لتدرك النفوس ما أدركت عيانا لما أنبئ"2

ثانيا: العنكبوت.

قال تعالى: **"مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"**3 الصورة في هذه الآية إذ تؤكد ما عليه بيت العنكبوت من هوان، فإنها تبين حال من اتخذوا من غير الله وليا، فحالهم كحال العنكبوت التي تحتمي ببيتها بالرغم من ضعفه، وهم بالرغم من ضعفهم وعجزهم يلجأون إلى أولياء من دون الله، وهذا دليل على أنهم لا يدركون حقائق الأمور؛ فلو كانوا يدركون ما هم عليه، ما اتخذوا من دون الله وليا." إنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود. الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحيانا، فيسوء تقديرهم لجميع القيم، ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات، وتختل في أيديهم جميع الموازين" [4]. والتصوير في هذه الآية ينطبق على حال أمّتِنا وأنظمتها الحاكمة.

---

[1] . االدمشقي، شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي: **" الأمثال في القرآن الكريم"**، ط1، مكتبة الصحابة، طنطا، 1986: (26-27)

[2] . الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **"الأمثال من الكتاب والسنة"** تحقيق: السيد الجميلي، ط1 دار إبن زيدون، بيروت، 1985: 41

[3] . العنكبوت 41

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 2736 .

والتصوير في هذه الآية محكم، فيه بيان لضياعهم، وخسراتهم. يقول الترمذي: "اتخذوا أي عبدوا من دون الله أولياء _أي بالربوبية_ لا ينفعهم في الآخرة كما لا ينفع بيت العنكبوت العنكبوت في حرّ ولا قرّ، فكذا ضعف الصنم."[1]

وقد جاء التعبير القرآني بهذا التصوير لهدف عظيم، ففي هذه الآية غرض واضح. هو بيان وَهن الآلهة التي يعبدونها من دون الله. يقول الزمخشري: "الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون اللّه ، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة. وهو نسج العنكبوت. ألا ترى إلى مقطع التشبيه وهو قوله: وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ؟ فإن قلت: ما معنى قوله: لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت؟ قلت: معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن. ووجه آخر : وهو أنه إذا صحّ تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت، وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون."[2] إن إرداف التشبيه في الآية السابقة بقوله تعالى: **"لو كانوا يعلمون"** فيه نوع من الاستخفاف بعقول هؤلاء القوم، وانجرافها وراء الشرّ، بالرغم من قدرتها على تمييز الخير من الشّرّ، فقد هيأت_ بنومها المميت_ لنفوسهم اتباع البغي.

ثالثا: الكلب:

من الصور المركبة المحكمة صورة المنسلخ من آيات الله. **قال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "**[3]. يكشف الله _عز شأنه_ في هذه الصورة عن حال أولئك الذين يهيئ الله لهم المعرفة فيفرون منها كأنها لم تهيأ لهم أبدا، ويعيشون

---

[1] . الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **"الأمثال من الكتاب والسنة"** 38.

[2] . الزمخشري، جار الله : **"الكشاف"** دار الكتاب العربي ــ بيروت،ج3: 1407ه: 454

[3] . الأعراف آية (175-176)

هابطين تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم بما علموا وجهلوا ؛ فلا هم استراحوا بالجهل ولا هم تمسكوا بالمعرفة.

وهنا يرسم الله لهم في هذه الصورة هيئة تزيد من تحقيرهم، فهي صورة شاخصة فيها الحركة الدائبة. وهي في تثبيت المعنى المراد أشد وأقوى، فالتمثيل من الألوان البلاغية التي تعطي المعنى قوة سواء أكان في موضع المدح أم الذم، "وإن كان ذما كان مسّه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشد، وحدّه أحد كقوله سبحانه في الذي أوتي الآيات فانسلخ منها واتبع هواه: "فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث" أي يخرج لسانه من شدة الألم والعطش والتعب"[1]. و"ذلك لأن الكلب ميت الفؤاد من بين السباع وذلك فيما روي لنا عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض وسوس العدو إلى السباع إن هذا عدو لكم فاقتلوه جاءت الوحوش فاحتوشته واجتمعوا عليه وجاء العدو فأشلى[2] الكلب حتى ينبح"3

وفي هذه الصورة مشهد قوي غريب في عناصره." إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات.. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ينسلخ من هذا كله انسلاخا. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ بعنف وجهد ومشقة ،انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه"[4]. وهذا التصوير فيه نوع من التعميم حيث يصلح التمثيل في هذه الآية على كل عالم اتصف بهذه الصفات "والحياة البشرية ما تني تطلع علينا بهذا المثل في كل مكان وفي كل زمان وفي كل بيئة... حتى لتمر فترات كثيرة، وما تكاد العين تقع على عالم إلا وهذا مثله. فيما عدا الندرة النادرة ممن عصم الله"[5]

---

[1] . شرف، حفني محمد: **"التصوير البياني"** 127 .

[2] . وأَشْلى الشَّاةَ والكَلْبَ واسْتَشْلاهُما دَعاهُما بأَسْمائِهِما وأَشْلى دَابَّتَه أَراها المُخْلاة لتَأْتِيَه. اللسان مادة: شلا.

[3] . الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **"الأمثال من الكتاب والسنة"** 27.

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج3: 1396

[5] . السابق ج3: 1398

رابعا: الجِمال.

استخدم القرآن الكريم الجمال في تصوير نار جهنم، وذلك في **قوله تعالى: "انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ"**[1]. هنا صورة مركبة، شبه القرآن فيها الشرر المتطاير من النار بالقصر، ثم شبه القصر بالجمال السود، وذلك زيادة في التوضيح. يقول الزمخشرى: "جِمالَتٌ جمع جمال. أو جمالة جمع جمل، شبهت بالقصور ، ثم بالجمال لبيان التشبيه. ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل[2]." [3]وإلى ذلك ذهب ابن كثير فقال: "(كأنه جمالة صفر) أي كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير"[4]

إن الصورة القرآنية في هذه الآية تحمل إلى أصحاب العقول الواعية رسالة عظيمة، حيث تتجلى في فيها العبرة لمن أراد. إنها رسالة غير مباشرة أراد الله ان تصل إلى عباده لعلهم يتقون الله في أنفسهم وأهليهم. " (إنها ترمي بشرر كالقصر. كأنه جمالة صفر) ... فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر. (وقد كان العرب يطلقون القصر على كل بيت من حجر وليس بالضروري أن يكون في ضخامة ما نعهد الآن من قصور) فإذا تتابع بدا كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك! هذا هو الشرر فكيف بالنار التي ينطلق منها الشرر؟! "[5]

خامسا: الذباب.

الذبابة حشرة صغيرة الحجم، ضعيفة البنية، استغلها التعبير القرآني في صورة مركبة أظهرت قدرة الله في إبداع الكون، وعجز ما دونه من آلهة مدعاة. **قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ**

---

[1] . المرسلات آية (30-33)

[2] . والمِجْدَل القَصْر المُشْرِف لوَثَاقَة بنائه وجمعه مَجَادل. اللسان مادة: جدل

[3] . الزمخشري، جار الله : **"الكشاف"** ج4: (680-681)

[4] . ابن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء اسماعيل:**"تفسير القرآن العظيم"** ، دار إحياء الكتب العربية، ج4: 460.

[5] . قطب، سيد:**"في ظلال القرآن"** ج6: 3794 .

عَزِيزٌ ﴾1 .في الآية مثل ضربه الله تعالى لضعف المخلوقات ، بيِّن فيه أنه لا يُقَاسُ المخلوق الضعيف العاجز عن أدنى شيء بالخالق القوي القادر على كل شيء.

وقد صوّر الله تعالى ضعف الآلهة التي تعبد من دونه تصويرا دقيقا، حيث تدرّج في إظهار ضعفهم _من خلال هذه الصورة المركبة_ تدرجا جميلا، فبدأ من عدم قدرتهم على خلق الذبابة، ثم أكّد ضعفهم بعجزهم عن خلق هذه الحشرة الضعيفة الصغيرة مجتمعين، وانتقل إلى النقطة التي تبرز مدى عجزهم ألا وهي. عدم القدرة على استنفاذ شيء سلبهم إياه الذباب. يقو سيد قطب: "يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري: **(وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنفذوه منه)..** الآلهة المدعاة لا تملك استنفاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء أكانت أصناما أو أوثانا أو أشخاصا! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون ردّه. وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير"2.

ويقول سيد قطب: "ومعنى عجز الآلهة التي كان العرب يعبدونها من دون الله يمكن أن يؤدّى في عدة تعبيرات ذهنية مجردة... لكن الإبداع الفني هنا هو في عرض هذه الحقيقة في صورة تلقي ظلال الضعف عن خلق أحقر الأشياء، والجمال الفني هنا هو في تلك الظلال التي تضفيها محتويات الصورة ، وفي الحركة التخليلية في محاولة الخلق، وفي التجمع له، ثم في محاولة الطيران خلف الذباب لاستنفاذ ما يسلبه، وهم وأتباعهم عاجزون عن هذا الاستنفاذ!"3

والمثل في الآية مضروب للأصنام، فقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال إقامة للحجة على الناس . يقول القرطبي: "وإنما قال «ضرب مثل» لأن حجج الله تعالى عليهم بضرب الأمثال أقرب إلى أفهامهم."4 . و"ضرب مثلا لأصنام أهل مكة فقال: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**". قال أراهم الله ضعف الذباب، وعجزه عن

---

1 . الحج: 73 -74

2 . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2444 .

3 . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"** (243 -244)

4 . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن"**، ج12: 96

القدرة؛ ليعلموا عجز أصنامهم التي لا تتحرك، وليس فيها حياة أنها أقل وأضعف غياثا عن الذباب، فكيف تكون شريكة للقادر؟"[1].

سادسا: الطير.

وظف التعبير القرآني الطير في تصوير الشرك بالله فأبدع لنا صورة تتجلى كمشهد سينمائي مؤلم، لا يعي مضمونه إلا أصحاب الألباب. **قال تعالى: "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ"**[2]. الصورة هنا صورة مركبة، حال المشرك فيها شبيه بمن خرّ من السماء، فأصبح فريسة بيد الطير تتخطفه. إنها صورة محكمة في الحركة والوصف، توضح حال المشرك بالله، ففي ومضة يخر من السماء، فلا يستقر على الأرض لحظة. إن الطير لتخطفه. أو إن الريح لتهوي به. وتهوي به في مكان سحيق ! حيث لا يدري أحد مكانه!.

يقول الدمشقي: "ويجوز لك في هذا التشبيه أمران: أحدهما أن تجعله تشبيها مركبا، ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد غيره برجل قد تسبب إلى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه نجاة فصور حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفه الطير في الهوى فتمزق مزعا في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا لا ينظر إلى كـ فرد من أفراد الشبه ومقابلته من المشبه به. والثاني أن يكون من التشبيه المفرق فيقابل كل واحد من أجزاء المثل بالممثل به"[3]

والحقيقة التي يود القرآن أن يرسخها خلال هذا التصوير الفني الرائع هي فظاعة حال المشرك، حيث سيهبط من قمة الإيمان إلى الفناء والانحدار؛ لأن ابتعاده عن التوحيد أبعده عن القاعدة الثابتة التي تعتبر مستقرا حقيقيا يستند إليه الإنسان. حقا إنه تصوير دقيق فأي مشهد سينمائي وأي حركة يمكنها أن تعكس هذه الصورة كما عكستها تلك الكلمات؟ ."ولم هذه السرعة

---

[1] . الترمذي ، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: **" الأمثال في الكتاب والسنة"** (35-36)

[2] . الحج آية 31

[3] .الدمشقي، شمس الدين محمد بن ابي بكر الذرعي: **" الأمثال في القرآن الكريم"** (45-46).

الخاطفة؟ لئلا يتوهم أحد أن لمن يشرك بالله منبتا، أو وجودا، أو قرارا، أو امتدادا، مهما يبلغ من الحسب والقوة والجاه والبنين؛ إنما يأتي في ومضة من المجهول ليذهب في ومضة إلى المجهول!!!"[1]

والطير في هذه الصورة عنصر بارز من عناصرها بل بطل من أبطالها. يقول القرطبي _رحمه الله_: "«فتخطفه الطير» أي تقطعه بمخالبها وَقِيلَ : هَذَا عِنْد خُرُوج رُوحه وَصُعُود الْمَلَائِكَة بِهَا إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا فَلَا يُفْتَح لَهَا فَيُرْمَى بِهَا إِلَى الْأَرْض"2. يقول سيد قطب: "والطير بنية حية ولكنها مألوفة لا تلفت الإنسان. أما في تعبير القرآن فمشهد رائع يثير الجنان"[3].

سابعا: الغنم.

وظف التعبير القرآني الغنم في تصوير كفار مكة في **قوله تعالى: "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ "**[4]. حيث تتجلى في الآية صورة فنية مركبة، توضح ما عليه الكفار من ضلال وتيه، فَهُم كالأنعام لا تفقه شيئا مما يطلبه الراعي ، فتراها تتخبط بكل اتجاه. لا تأبه لصراخه، وهو لا يملّ الصراخ ، ظنّا منه أنها قد تدرك ما يريد.

وهذه الصورة دليل على أن الجاهلية قد طَمست على العقول والقلوب، حتى أفسدتها، فلم تستطع إدراك حقيقة الرسالة. أما صورة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث شبه بالراعي، فهي دليل على عدم جدوى الكلام مع هؤلاء، وقلة الفائدة المرتجاة منهم. يقول الترمذي: "يعني مثل محمد مع الكافر كمثل الراعي مع البهيمة ينعق الراعي بالبهيمة، ولا تسمع إلا دعاء ونداء أي تسمع الصوت، ولا تعقل ما يقال لها. كذا الكافر."[5]

---

[1] . قطب، سيد: "**التصوير الفني في القرآن**" (132 -133)

[2] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج12: 55

[3] . قطب، سيد: "**التصوير الفني في القرآن**" : 251

[4] . سورة البقرة 171

[5] . الترمذي أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم: "**الأمثال من الكتاب والسنة**": 21.

وقد جاءت هذه الصورة تخفيفا من الله _عز وجل_ عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالتعبير القرآني بهذه الصورة يحمل مواساة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وحثّا على الصبر، وطمأنة للقلب، حيث يكمن الخلل في الكفار أنفسهم، وليس في حامل الرسالة. يقول االقرطبي: "شبه تعالى واعظ الكفار، وداعيهم وهو محمد صلى اللّه عليه وسلم بالراعي، الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول."[1]

ومن الملاحظ أن الصور المركبة التي كانت الحيوانات والطيور عنصرا من عناصرها قد حوت على عبر كثيرة، منها ما هو خفي، ومنها ما هو ظاهر. وقد زاد استتار العبرة خلف الصورة الفنية من روعة هذه الصورة. فكلما تعمقنا في تحليلها ازدادت جمالا وبدت لامعة جليّة.

* الصور المجازية

أما الصورة المجازية فينطوي تحتها جميع التعابير والأساليب غير الحقيقية، من استعارة ومجاز وكناية. وقد وظف التعبير القرآني الحيوانات والطيور في هذه الصور توظيفا دقيقا. فاختار الحيوان المناسب للصورة المرسومة. ومن هذه الحيوانات:

***الجمل:**

وظف التعبير القرآني الجمل في بعض الصور المجازية، فأخرج صورة حيّة عبرت عن المطلوب تعبيرا دقيقا. قال تعالى: **"إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ"**[2]. في الآية تصوير دقيق، يوضح التعبير القرآني فيه استحالة دخو من كذبوا بآيات الله، واستكبروا عنها الجنة، وذلك من خلال ربط دخولهم الجنة بدخول الجمل في سم الخياط، ودخول الجمل في سمّ الخياط أمر مستحيل، وهذا يعني أن المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها لن ولم يدخلوا الجنة

[1] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج2: 214

[2] . الأعراف 40

بحال من الأحوا . "وذكر الجمل لأنه أعظم الحيوان المزاول للإنسان جنّة فلا يلج إلا في باب واسع، كما قال: لقد عظم البعير بغير لبّ، وقال: جسم الجمال وأحلام العصافير. وذكر سَمّ الْخِيَاطِ لأنه يضرب به المثل في ضيق المسلك. يقال: أضيق من خرت الإبرة ، وقيل : للدليل خريت لاهتدائه في المضايق تشبيهاً بإخرات الإبرة والمعنى أنّهم لا يدخلون الجنة أبداً"[1]

إن العيون لتقف شاخصة أمام هذا التصوير القرآني الدقيق في مشهده ، تنتظر دخول الجمل في سم الخياط، وهي تعلم تماما أن حصول هذا الأمر مستحيل. "دونك فقف بتصورك ما تشاء أمام المشهد العجيب... مشهد الجمل تجاه ثقب الإبرة. فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل الكبير، فانتظر حينئذ _ وحينئذ فقط_ أن تفتح أبواب السماء لهؤلاء المكذبين، فتقبل دعاءهم أو توبتهم _وقد فات الأوان_ وأن يدخلوا إلى جنات النعيم! أما الآن، وإلى أن يلج الجمل في سم الخياط، فهم هنا في النار"[2].

وفي هذه الصورة معنى مجرد أخرجه التعبير القرآني بقالب حسي، حيث أضفى عليه حركة وحيوية. فالتعبير القرآني" يريد أن يبين أن الذين كفروا لن ينالوا القبول عند الله، ولن يدخلو الجنة إطلاقا، وأن القبو أو الدخول أمر مستحيل . هذه هي الطريقة الذهنية للتعبير عن المعاني المجردة"[3]. يقول محمد عدنان في علوم القرآن: "**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**". والمعنى الذهني الذي تقرره الآية هو أن الكفار لن ينالوا القبول عند الله، وإنه يستحيل عليهم دخول الجنة!"[4].

---

[1] . أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: **"تفسير البحر المحيط"** ، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2001م: ج4: (299-300)

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج3: 1291.

[3] . قطب، سيد: " **التصوير الفني في القرآن الكريم"** : 38

[4] . زرزور، عدنان محمد: **"علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه"** : 337

الناقة:

وظفت الناقة في تصوير الرياح في **قوله تعالى**: " **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**"[1]. حيث أكسب التعبير القرآني الرياح حياة، عندما وصفها بقوله: (لواقح). "وناقة لاقح ونوق لواقح إذا حملت الأجنة في بطونها. وقيل: لواقح بمعنى ملقحة وهو الأصل، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لاقح، كأن الرياح لقحت بخير."[2] والتصوير هنا فيه تنبيه إلى أهمية الرياح، فهي تحمل لنا الخير، ولا يمكننا الاستغناء عنها، كما لا يمكننا الاستغناء عن الناقة. يقول سيد قطب: " وهذه هي الرياح لواقح: (وأرسلنا الرياح لواقح) بما تحمل من ماء. ولكن التعبير عنها أكسبها حياة، تلقح وتنتج!"[3]

وقد جاء الحديث عن الناقة في قصة سيدنا صالح. قال تعالى: "إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ"[4]. في هذه الآية يصف التعبير القرآني الناقة أنها فتنة؛ وهذا من باب المجاز على اعتبار ما سيكون، فأمام هذه الصورة تذهل العقول و تقف شاخصة منتظرة حتى ترى كيف ستكون هذه الناقة فتنة؟ يقول سيد قطب: "ويقف القارئ يترقب ما سيقع عندما يرسل الله الناقة فتنة لهم وامتحانا مميزا لحقيقتهم ويقف الرسول رسولهم عليه السلام مرتقبا ما سيقع مؤتمرا بأمر ربه في الاصطبار عليهم حتى تقع الفتنة ويتم الامتحان. ومعه التعليمات أن الماء في القبيلة قسمة بينهم وبين الناقة _ولا بد أنها كانت ناقة خاصة ذات خصائص معينة تجعلها آية وعلامة_ فيوم لها ويوم لهم. تحضر يومها ويحضرون يومهم وتنال شربها وينالون شربهم."[5]

---

[1] . الحجر آية 22

[2] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج10: 15

[3] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"** : 69

[4] . سورة القمر آية 27

[5] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6: 3432.

العير:

واستخدم القرآن لفظ العير في سورة يوسف على سبيل المجاز. "والعِيرُ مؤنثة القافلة وقيل العِيرُ الإبل التي تحمل المِيرَة لا واحد لها من لفظها وفي التنزيل ولَمَّا فَصَلَت العِيرُ"[1]. قال تعالى:" **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ"2** . فالنداء للعير من قبل المؤذن هو نداء لأصحابها، وهذا من المجاز."والعير ما امتير عليه من الحمير والإبل والبغال. قال مجاهد: كان عيرهم حميرا. قال أبو عبيدة: العير الإبل المرحولة المركوبة؛ والمعنى: يا أصحاب العير، كقوله: (واسأل القرية)"[3].

ونلاحظ أن نداء العير بهذا الأسلوب فيه نوع من الشدة على إخوة يوسف، فالنداء هنا يدخل الرعب في قلوبهم، وخاصة أن النداء شمل اتهامهم بالسرقة حيث قا : (إنكم لسارقون). " ويرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذي يتهمهم بالسرقة _وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم_ فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب."[4]. ولعل المجاز يكمن هنا في طريقة النداء، فقد حذف المقصود بالنداء وهم أصحاب العير، وأبقى ماله علاقة بهم (العير).

الذئب:

الذئب من الحيوانات التي ذكرت في القرآن. "الذِّئْبُ كَلْبُ البَرِّ والجمعُ أَذْؤُبٌ في القليل وذِئابٌ وذُؤْبانٌ والأُنثَى ذِئْبَةٌ يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ وأَصله الهَمْز ...يقال لِصعالِيك العرب ولُصُوصِها ذُوبانٌ لأَنهم كالذِّئابِ"[5]. وقد استغل التعبير القرآني هذا الحيوان في صورة مجازية عبّر فيها عن النفس الأمارة بالسوء، وذلك في قوله تعالى على لسان يعقوب: " **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ"**[6]. فكلمة الذئب في كلام سيدنا يعقوب عليه السلام هي

---

[1] . ابن منظور: "لسان العرب" ، مادة عير: مج4: 620.

[2] . يوسف آية 70

[3] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" : ج9 :230

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2019

[5] . ابن منظور: "لسان العرب" مادة ذأب: مج1: 377.

[6] . يوسف آية 13

في الحقيقة النفس الأمارة بالسوء الكامنة في إخوة يوسف، فسيدنا يعقوب _عليه السلام_ يعلم ما يخفيه أبناؤه من كيد وغيرة ليوسف، فيوسف _عليه السلام_ في نظرهم أحبّ الأبناء إلى قلب والده، وهو لا يرى أحدا سواه. جاء في تفسير القرطبي: " وقيل: إنما قال ذلك لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب؛ فخوفه إنما كان من قتلهم له، فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم؛ قا ابن عباس: فسماهم ذئابا. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب؛ لأنه أغلب ما يخاف في الصحارى"[1].

ومما يؤكد أن كلمة الذئب هنا جاءت على سبيل المجاز وليس الحقيقة نصيحة سيدنا يعقوب ليوسف بعدم إخبار إخوته بالرؤيا، حتى لا يكيدوا له. قال تعالى: " **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ** "2. مما يؤكد ما ذهبنا إليه أيضا قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام بعد أن اختفى ابنه الآخر في رحلته مع إخوته: " **يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.**"3

البقرة:

برز لفظ البقرة في القرآن الكريم بوضوح، فقد سميت باسمها أطول سورة في القرآن. وقصة البقرة مع قوم موسى معروفة. حدّثنا القرآن الكريم عنها بأسلوب قصصي مشوّق، فعبّر عن عمر البقرة التي أمر الله قوم موسى بذبحها بكلمات بسيطة. قال تعالى على لسان موسى: " **قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ** "4**.** في الآية نلمس التعبير القرآني الدقيق، فكل من فارض وبكر وعوان، مجتمعة جاءت كناية عن عمر البقرة. جاء في اللسان:" وقال أَبو الهيثم الفارِضُ المُسِنّةُ أَبو زيد بقرة فارِضٌ وهي العظيمةُ السمينة والجمع فَوارِضُ وبقرةٌ عَوانٌ من بقر عُونٍ وهي التي نُتجَت بعد بَطْنها البِكْر. قال قتادة لا

---

[1] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج9: 140

[2] . يوسف آية 5

[3] . يوسف آية 87

[4] . سورة البقرة 68

فارِضٌ هي الهَرِمةُ"[1]. "وبقرة بِكْرٌ لم تَحْمِ وقيل هي الفَتِيَّةٌ. وفي التنزيل لافارض ولا بكر؛ أي ليست بكبيرة ولا صغيرة "[2].

وقد شكلت هذه الكلمات مثلثا مغلقا، لا يمكن لأي معاند أن يتساءل بعده عن أي نوع من التفاصيل الخاصة بهذه البقرة، ولكن أنى لنفوس بني إسرائيل أن ترضى فرغم كل هذه التوضيحات، كرروا السؤال: " **قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ** "[3] ثم كرروا الاستفسار مرة أخرى قائلين: **"قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ"** [4]. وإلحاحهم دليل على ما تحمله نفوسهم من مكر وخداع ومخاتلة.

وورد لفظ البقرة أيضا في سورة يوسف. فقد استغل التعبير القرآني هذا الحيوان في هذه السورة للتعبير عن السنين المجدبة، وذلك في قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام**: " ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ"**[5] . حيث عبّر عن السنين المجدبة بالسبع الشداد، "ومعنى يأكلن ما قدمتم لهن أي ينفذ ما ادخرتموه لهن من السنين المخصبة، وجرى ذلك على عادة العرب في قولهم أكلت آل فلان السنة يريدون مسهم الضر في حال الجدل وزمان الأزل حتى أنهم يسمون السنة المجدبة الضبع فيقولون أكلتهم أي نهكتهم سنة الجدب."[6].

يقول سيد قطب:" قال تزرعون سبع سنين دأبا...أي متوالية متتابعة. وهي السنوات السبع المخصبة المرموز لها بالبقرات السمان. فما حصدتم فذروه في سنبله أي اتركوه في سنابله

---

[1] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م: مج7: 204

[2] . السابق مج4: 79

[3] . سورة البقرة 69

[4] . سورة البقرة 71

[5] . يوسف آية 48

[6] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** تحقيق وتقديم: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1986: 116.

لأن هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية إلا قليلا مما تأكلون فجردوه من سنابله، واحتفظوا بالبقية للسنوات الأخرى المجدبة المرموز لها بالبقرات العجاف."[1].

ويكمن جمال الصورة في هذه الآية بحسن اختيار الاستعارة، حيث استعار للسنوات المجدبة بقرات عجافا بينما اختار للسنوات الخصبة بقرات سمانا. قال تعالى: **"يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ"**[2]. وفسّر سيدنا يوسف الرؤيا بما دلت عليه .قال ابن عاشور: "عبر الرؤيا بجميع ما دلّت عليه، فالبقرات لسنين الزراعة، لأن البقرة تتخذ للإثمار. والسِمَن رمز للخصب. والعجَف رمز للقحط. والسنبلات رمز للأقوات؛ فالسنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعاً رمز للانتفاع به في السبع السنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة ، فذلك يقتاتونه في تلك السنين جديداً" [3].

أما العجل فقد ورد ذكره في القرآن ضمن صورة مجازية ، عبّر فيها القرآن عن حبّ العجل الذي عبده بنو إسرائيل **بقوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"**[4]. فالصورة العجيبة التي يوضحها التعبير القرآني في قوله تعالى: (وأشربوا في قلوبهم العجل) لا يمكن الإحاطة بها، فالحب أمر معنوي، والشرب والقلوب أمران محسوسان. هنا يأخذنا الخيال القرآني إلى القلوب وهي تحتضن العجل، وكأن هذا المعبود الخاص بهم سيطر على منافذ قلوبهم، والسبب كما قال تعالى: هو كفرهم. أي أن كفرهم هيأ المساحة الكافية لدخول العجل، لأن حب الله تعالى حين يغادر القلب يمكن أن يستبدل بحب آخر يأخذ الأجواء على الحب الحقيقي، فيحل محله، وهذا ماحصل معهم.[5] وزاد الصورة قوة قوله تعالى: [بئسما يأمركم به إيمانكم] ،حيث أنزل الكلام هنا بطريقة التهكم لفقدهم الحب الحقيقي.

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4:(1993 -1994)

[2] . يوسف آية 46

[3] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"** ج12، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984: 286

[4] . البقرة 93

[5] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج1: 91

وفي هذه الآية استعارة. "والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبّه فمازجها ممازجة المشروب وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ، وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه لأن القلوب لا يصح وصفها بشرب العجل على الحقيقة"[1]

والصورة ليست قوية ولا عجيبة بل هي غليظة بكلماتها، "فأما الصورة الغليظة التي ترسمها: (وأشربوا في قلوبهم العجل) فهي صورة فريدة . لقد أشربوا. أشربوا بفعل فاعل سواهم. أشربوا ماذا؟ وأين أشربوه؟ أشربوه في قلوبهم! ويظل الخيال يتمثل تلك المحولة النيفة الغليظة وتلك الصورة الساخرة الهازئة: صورة العجل يُدخل في القلوب إدخالا، ويحشر فيها حشرا، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه، هو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم أشربوه إشرابا في القلوب!"2.

ألفاظ خاصة بالحيوان:

من الصور المجازية التي تختزل في طياتها صورة حيّة تقشعر لها الأبدان قوله تعالى على لسان إبليس: " **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا**"[3] . ففي هذه الآية يسخر أبليس _لعنة الله عليه_ من بني آدم وذريته بأسلوب لاذع، يظهر فيه قدرته على الاستيلاء على ذرية آدم، واقتيادهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة فالحنك في اللغة جعل الرسن في فم الدابة "وحَنَكَ الدابةَ يَحنِكها ويَحْنُكها جعل الرَّسَنَ في فيها من غير أَن يشتق من الحنك رواه أَبو عبيد قال ابن سيده والصحيح عندي أَنه مشتق منه وكذلك احْتَنَكه ويقال أَحْنَكُ الشاتين وأَحْنَكُ البعيرين أَي آكَلُهما بالحَنَك"[4]. والدابة لفظ يطلق على الحيوان غالباً. "والدَّابَّة اسمٌ لما دَبَّ من الحَيَوان مُمَيِّزةً وغيرَ مُمَيِّزة"[5].

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 34.

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج1: 91.

[3] . سورة الإسراء 62

[4] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مج10: 416

[5] . السابق مادة دبب: مج1\ (369 -370)

يقول الشريف الرضي:" (لأحتنكن ذرّيته إلا قليلا) وهذه استعارة على بعض التأويلات في هذه الآية. وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعالا من الحنك. أي لأقودنهم إلى المعاصي، كما تقاد الدابة بحنكها، غير ممتنعة على قائدها. وهي عبارة عن الاستيلاء عليهم، والملكة لتصرفهم كما يملك الفارس تصرّف فرسه، بثني العنان تارة، وبكبح اللجام مرة"[1] .وجاء في تفسير القرطبي: "وقيل: معناه لأسوقنهم حيث شئت وأقودنهم حيث أردت. ومن قولهم: حنكت الفرس أحنكه وأحنكه حنكا إذا جعلت في فيه الرسن. وكذلك أحتنكه"[2].

إن هذه الصورة المجازية إذ تبرز قدرة أبليس على إغواء العباد، فإنها توضح قدرة الله التي لا تحدها حدود، ففي قول إبليس: (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) تظهر هذه القدرة العظيمة. فإبليس يعلم علم اليقين أنه لا يمكنه فعل شيء دون إرادة الله لذلك نرى كلامه يأتي مشروطا بمشيئة الله. قال تعالى: " **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**"[3].

ومن ألفاظ الحيوان التي استخدمت في صورة مجازية لفظ الرتع. قال تعالى في سورة يوسف: "**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** "[4]. استعار كلمة الرتع للدلالة على الأكل الكثير. "الرَّتْعُ الأَكل والشرب رَغَداً في الرِّيف رَتَعَ يَرْتَعُ رَتْعاً ورُتوعاً ورِتاعاً والاسم الرَّتْعةُ والرَّتَعةُ يقال خرجنا نَرْتَعُ ونَلْعب أَي نَنْعَم ونَلْهُو"**5**. قال ابن عاشور: "فهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم واستعير في كلامهم للأكل الكثير لأنّ الناس إذا خرجوا إلى الرّياض والأرياف للّعب والسّبق تقوى شهوة الأكل فيهم فيأكلون أكلاً ذريعاً فلذلك شبّه أكلهم بأكل الأنعام . وإنّما ذكروا ذلك لأنّه يسرّ أباهم أن يكونوا فرحين...هذا مستعار من رتعت الدّابة إذا أكلت في المرعى حتّى شبعت . فمفاد المعنى على التأويلين واحد."[6]

---

[1] . الرضي، الشريف: "تلخيص البيان في مجازات القرآن" : 152.

[2] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج10: 287

[3] . الحجر آية (39-40)

[4] . يوسف آية (11-12)

[5] . ابن منظور: "اللسان": مج8: 112 مادة رتع.

[6] . ابن عاشور، محمد الطاهر:"**التحرير والتنوير**" ج12: 228

الطير:

وظف التعبير القرآني الطير في الصور المجازية مستغلا بعض الخبرات الاجتماعيـــة. فأخرج لنا صورا تناسبت مع مضمون الآيات، ومن هذه الصور:

***صورة التشاؤم:**

ربط التعبير القرآني التشاؤم بالطير في عدة مواضـــع، مـــسخّرا الخبـــرة الاجتماعيـــة الراسخة في تفكير الإنسان آنذاك. **قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "**[1] تظهر هـــذه الآيـــة صورة مجازية جديدة، ففي قوله تعالى: (ألا إن طائرهم عند الله) استخدم كلمة طائر للاســـتعارة عن الشؤم.

والتطير عادة معروفة عند العرب الجاهليين. فإذا أراد أحدهم شيئا همّ إلى طائر فأرسله، فإذا طار عن يمينه استبشر به (تفاءل) وإذا طار عن شماله تشاءم. وفي مختار الصحاح: "تَطَيَّر من الشيء وبالشيء والاسم الطِّيَرَةُ بوزن العنبة وهو ما يُتشاءم به من الفأل الـــرديء"[2]. يقـــول البخاري: "وكان من عَادَةِ العَرَبِ زَجْرُ الطَّيْرِ والتَّطيُر نِيَاحُهَا ونعيقُ غِرْبَانِها وأَخْذُها ذَاتَ اليَسَارِ إِذا أَثَارُوها فأَبْطَلَ رسولُ اللَّه ذلك"[3]. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التطيـــر"قـــال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقـــول: قـــال رســـول الله صلى الله عليه وسلم:" لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفـــر مـــن الأسد"[4]. جاء في المثل: "ولهم طير الله لا طيرك"[5]

---

[1] . الأعراف 131

[2] . الجوهري، إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية"** تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر: ج2\ 728

[3] . ابن جعفر، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي**"غريب الحديث"** تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجـــي، ط1، دار الكتـــب العلمية، بيروت، 1985: ج2\ 173

[4] . البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:**"الجامع الصحيح المختصر"** : ج5\ 2158.

[5] . العسكري، أبو هلال: كتاب **"جمهرة الأمثال"** تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبـــد المجيـــد قطـــامش،ط2، دار الفكر،1988: ج2\ 17.

وفي الآية السابقة توجيه رباني يبين فيه أن النفع والضرّ بيد الله، فإلى الله يرجع الأمر كله، فلا تشاؤم أو تفاؤل بإنسان أو طائر، فكلّها مخلوقات لا حول لها ولا قوة والهدف من الآية تربية النفوس، وتعويدها على التفكير العلمي الصحيح، بعيدا عن عالم الخرافات الذي أملته عليهم شياطينهم، وقد" أبطل الإسلام هذا التفكير الخرافي، وأحل محله التفكير (العلمي) _العلمي الصحيح_ وأرجع الأمور إلى سنن الهدى الثابتة في الوجود، وإلى قدرة الله الذي يحقق هذه السنن في كل مرة تتحقق فيها؛ وأقام الأمور على أسس (علمية) يحسب فيها نية الإنسان وعمله وحركته وجهده؛ وتوضع في موضعها الصحيح، في إطار المشيئة الإلهية الطليقة، وقدره النافذ المحيط"[1]

واستخدم القرآن الكريم كلمة التطير كناية عن التشاؤم في عدة مواضع، فقد وردت هذه الكلمة في قوله تعالى:" **قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**"2. وهذه الآية فيها مهاجمة باطلة من المكذبين لرسل الله، فالمعاندة التي اختلطت بالتهم الواهية جعلت هؤلاء القوم يلقون بظلا فشلهم على غيرهم؛ لذلك استحقوا الإجابة المماثلة من المرسلين حيث قالوا: " **طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ** "[3] . يقو ابن عاشور: "ومعنى {طَائِرُكُم مَّعَكُمْ } الطائر الذي تنسبون إليه الشؤم هو معكم، أي في نفوسكم، أرادوا أنكم لو تدبرتم لوجدتم أن سبب ما سميتموه شؤماً هو كفركم وسوء سمعكم للمواعظ، فإن الذين استمعوا أحسن القو اتبعوه ولم يعْتَدُوا عليكم، وأنتم الذين آثرتم الفتنة وأسعرتم البغضاء والإحن فلا جرم أنتم سبب سوء الحالة التي حدثت في المدينة."[4]

والتشاؤم من الرسل أسلوب عمد إليه من كذبوا بالرسالات السماوية هربا من مواجهة الحق، وهم يعلمون علم اليقين أنهم مخطئون، لكنهم كانوا "يعمدون إلى الأسلوب الغليظ العنيف في مقاومة الحجة لأن الباطل ضيق الصدر عربيد: قالوا: إننا نتشاءم منكم؛ ونتوقع الشر في

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج3، ط35، دار الشروق ، بيروت،2005م:(1357 -1358)

[2] . سورة يس آية 18

[3] . سورة يس آية 19

[4] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"** ج22\ 364.

دعوتكم، فإن لم تنتهوا عنها فإننا لن نسكت عليكم، ولن ندعكم في دعوتكم: (لنرجمنكم، وليمسنكم منا عذاب أليم)"[1].

ومن المواضع التي تكرر فيها استخدام هذه الكلمة للتشاؤم، قوله تعالى على لسان قوم ثمود لسيدنا صالح: " **قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ** "[2]. وقوله تعالى في قوم فرعون: " **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** "[3].

يقول الطبري: " يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح {اطيرنا بك وبمن معك} أي تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم: { طائركم عند الله } أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه..."[4].

ومن الملاحظ أن هذه الآيات إذ تبرز صورة المعاندين الذين يستندون إلى حجج واهية، فإنها تعكس التربية البعيدة عن الإيمان والممتثلة بالانحراف والتيه. "وحين تنحرف الفطرة عن الإيمان بالله، فإنها لا ترى يده _سبحانه_ في تصريف هذا الوجود، ولا ترى قدره الذي تنشأ به الأشياء والأحداث. وعندئذ تفقد إدراكها وحساسيتها بالنواميس الكونية الثابتة النافذة. فتفسر الحوادث تفسيرات منفصلة منعزلة لا صلة بينها ولا قاعدة ولا ترابط، وتهيم مع الخرافة في دروب ملتوية متفرقة، لا تلتقي عند قاعدة."[5].

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 2962

[2] . النمل 47

[3] . الأعراف 131

[4] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988م: مج 11\ 171

[5] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج3: 1357

*** صورة اللين.**

ومن المواضع التي سخّر التعبير القرآني الطير فيها تصويره للين في المعاملة. **قال تعالى:** " **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**"[1] . فاستخدام الجناح هنا جاء على سبيل المجاز، و"هذه استعارة المراد بها ألن كنفك لهم، ودم على لطفك بهم. "2.

والمعنى المستفاد من هذا التصوير هو الرفق واللين مع المؤمنين. فالطائر لا يخفض جناحه إلا لراحة بعد تعب، أو طمأنينة بعد خوف، وخفض الجناح الذي أمر الله به نبيه إنما جاء من باب التواضع للمسلمين والإلانة لهم، وذلك أفضل وأضمن لاستمرار العلاقة بينهم، ولعل هذا ما أراده الله في قوله: "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**"3.

كما استخدم التعبير القرآني جناح الذل في تصويره للين في معاملة الوالدين **قال تعالى:** " **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**." [4] في هذه الآية صورة مجازية. يقول ابن عاشور "وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه مذللا ففي التركيب استعارة مكنية"[5]. وقد شبَّه الذلَّ بالطائرِ، وحذف المشبَّه به وأبقى بشيءٍ من لوازمهِ وهو الجناحُ، ويكمن جمال التشبيه في قوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلّ) في اختيار الجناح للتعبير عن التواضع أمام الوالدين، فنحن عندما نقرأ صورة كهذه تتمثل أمامنا صورة الابن اللين المتواضع واقفا أمام والديه يغمره التواضع والاحترام.

---

[1] . سورة الحجر آية 88

[2] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 139 .

[3] . سورة آل عمران 159

[4] . الإسراء آية 24

[5] . ابن عاشور، محمد الطاهر: **"التحرير والتنوير"** ج15\70.

وقد منح التصوير الذل حياة، تجسدت فيها حركة بسيطة تداخلت مع سكون. أما الحركة فهي الحياة التي منحت لصفة الذل، أما السكون فيتمثل في خفض الجناح لحظة الإخبات والرفق. و"هذه استعارة عجيبة، وعبارة شريفة. المراد بذلك: الإخبات للوالدين، وإلانة القول لهما والرفق واللطف بهما"[1].

وقد عبر القرآن عن بعض الحيوانات بأسلوب مجازي. قال تعالى: " **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**" 2. عبّر القرآن الكريم عن حيوانات البحر بقوله: "لحما طريا" وهذا من المجاز. فهي في البحر حيوانات تتحرك، وتعيش حياتها، لكنها بعد الصيد لحم طري يتغذى عليه الناس. و(لحما طريا) تعبير مجازي عن الأسماك وحيوانات البحر، وعلاقته اعتبار ما سيكون. "فنعمة البحر وأحيائه تلبي كذلك ضرورات الإنسان وأشواقه. فمنه اللحم الطري من السمك وغيره من الطعام. إلى جواره الحلية من اللؤلؤ ومن المرجان، وغيرهما"[3]. وفي الآية تذكير إلهي بنعم الله على الناس. فنعمه _سبحانه_ كثيرة، ذكر في هذه السور العديد منها، كالأنعام التي نحصل منها على احتياجاتنا من الطعام والشراب والزينة..

وقد جاء التعبير عن حيوانات البحر بلفظ (لحما طريا) مكررا في قوله تعالى: "**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.**"4

ونحن إذ ندرس الصورة المجازية نؤكد على مبدأ عدم الغلو في تفسير القرآن الكريم، واتباع المنهج العلمي الصحيح؛ لأننا نتناول أعظم كتاب على وجه الأرض. قيل في قوله تعالى: " **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** " [5]. إن

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 150.

[2] . النحل 14

[3] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2163

[4] . سورة فاطر آية 12

[5] . سورة ص: 23

هذا الكلام داخل في حيز الاستعارة. يقول الشريف الرضي: "هذا الكلام داخل في حيز الاستعارة لأن النعاج هنا كناية عن النساء وقد جاء في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة"[1]. وجاء في تفسير البحر المحيط: "نَعْجَةً بفتح النون ؛ والحسن ، وابن هرمز : بكسر النون ، وهي لغة لبعض بني تميم . قيل : وكنى بالنعجة عن الزوجة. فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا: أي ردها في كفالتي. وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي، أي نصيبي. وقال ابن عباس: أعطنيها ؛ وعنه، وعن ابن مسعود: تحول لي عنها؛ وعن أبي العالية: ضمها إلي حتى أكفلها".[2]

وقد اعتمد من اعتبر أن النعاج في هذه الآية كناية عن المرأة قصة روتها بعض كتب التفسير فقد روت كتب التفسير أن سيدنا داود عندما قرأ ما كان لسيدنا إبراهيم وسيدنا اسحاق وسيدنا يعقوب _عليهم السلام_ من فضل أحب أن يكون له مثلهم، فسأل الله أن يعطيه مثل ما أعطاهم، فأجابه الله أن كل منهم قد ابتلي بلاء عظيما، لذلك استحقوا ذلك الفضل، فطلب سيدنا داوود من الله أن يبتليه، فكان ما أراد من البلاء، وقد ذكرت كتب التفسير بعض الروايات الإسرائيلية؛ لتبين للقارئ مدى انجراف الناس وراء هذه الإسرائيليات، بالرغم من وضوح الكذب فيها.وجاءت هذه الكتب بالقصة كاملة حتى تترك للقارئ تمييز الخطأ من الصواب. فذكرت الرواية التي تدور حول إعجابه _عليه السلام_ بامرأة وقعت عليها عيناه صدفة وهي تغتسل في ساحة بيتها.[3] وهذه القصة _ والله تعالى أعلم_ من الإسرائيليات. يقول فضل عباس: " فقد نسجوا حول هذه الآيات الكريمة قصصا كاذباً، وهذا نتيجة الثقة بالإسرائيليات _مع كل الأسف_ التي كثرت في تفسير قصص القرآن، ومع أنها ضرر كلها إلا أن بعضها خروج صريح عن العقيدة، ومنافاة لعصمة الأنبياء عليهم السلام قالوا: إنه عليه السلام رأى امرأة أحد جنوده فأعجب بها، فأرسله للمعركة ليقتل فيتزوجها، وكان له تسع وتسعون من النساء، فأرسل الله له هذين الملكين ليبين له فظاعة ما فعله"[4]

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 259.

[2] . الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان: **"تفسير البحر المحيط"** تحقيق: عادل أحمد عبد، علي محمد معوض، ط1 دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت (1422 هـ - 2001 م): 7\376.

[3] . راجع القرطبي، أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج15: (167-169)

[4] . عباس، فضل حسن: **"قصص القرآن الكريم"** 648.

ومن الأفضل أن نأخذ تفسير هذه الآية على ظاهرها ولا نحمل الآيــة فــوق طاقتهــا، فقصة الرجلين اللذين تسورا المحراب هي ابتلاء لسيدنا سليمان من الله تعالى، حتى يعلمه كيف يقضي بين الناس بالعدل، ولا يتسرع في الحكم. " فقد كانا ملكين جاءا للامتحان! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل،وليتبين الحق قبل إصدار الحكم. وقد اختار أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة.. ولكن القاضي عليه ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل. وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد. قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجتــه؛ فقد يتغير وجه المسألة كله، أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعا أو كاذبا أو ناقصا!"[1] فالنعاج في هذه القصة -والله تعالى أعلى وأعلم- هي الحيوانات المعروفة لدينا.

***صور رامزة.**

نقصد بالصور الرامزة تلك الصورة التي تضمنت اختزالا لمعاني دلالية عميقة. فــسعى الرمز فيها إلى تكثيف الصورة الفنية، وإغنائها، مما زاد من أبعادها الجماليــة. ومــن الــصور الرامزة التي تضمنت ألفاظا للحيوانات والطيور. قوله تعالى: "**كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِــهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا** "[2]. في لفظ (الطائر) تكمن الصورة الرامزة، وقد تحدث النص القرآني الكريم عن اليوم الآخر، وما يواكبه من الجزاء حيث تُعرض صحيفة الأعمــال التي مارسها الإنسان في حياته فيحاسب عليها، وعبارة "ألزمناه طائره في عنقه" ترمــز إلــى صحيفة العمل، وما يترتب عليها من الــجــزاءات، ولــكــن ما هي علاقة (الطائر) بــصحيفة العمل؟

إن علاقة الطائر بصحيفة الأعمال هي علاقة تعود إلى ما أثر عن العرب من التطيــر، حيث كانوا يزجرون الطير فيتفاءلون أو يتشاءمون وحركة الطائر واتجاهه هي مبعث التفاؤل أو التشاؤم، وقد سخّر النص القرآني الكريم هذه الخبرة الاجتماعية المحفورة في عصب الناس ونقلها الى صــورة فــنــية تضمنت فكرة رامزة، فرمز إلى صحيفة الأعمال بلفظ الطائر، الذي

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 3018

[2] . الإسراء 13

يتفاءل به خيرا أو يتشاءم منه شرا وذلك حسب ما قدمه الإنسان من الطاعـــات أو المعاصـــي. يقول الشريف الرضي: "ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الإنسان من الخير والشر كـــالطوق في عنقه بإلزامه إياه، والحكم عليه به. وقال بعضهم: معنى ذلك أنا جعلنا لكل إنسان دليلا مـــن نفسه على ما بيّناه له."[1]

وقد يتساءل البعض عن الفرق بين كلمة طائر هنا، وكلمة طائر التي تم مناقـــشتها فـــي الحديث عن الصورة المجازية، ولماذا اعتبرت الصورة هنا رامزة، وهناك مجازية؟ لذلك نجيب بالقول إن استخدم الكلمة في الحالتين وإن كان متشابها، لكنه في الحقيقة يعبر عن مواقف مختلفة تماما. وما جعل الصورة رامزة هنا هو الربط بين كلمة الطائر وصحيفة الأعمال التي عبر عنها بطائر مربوط في العنق.

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 149.

جمالية اختيار الألفاظ وتناسق الصور

يتميز القرآن الكريم بتعابيره المتناسقة، حيث تتناسق فيه الألفاظ مع الصور فينتقي اللفظ المناسب للموقف المناسب، "فهناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكما معالم الصورة الحسية أو المعنوية. هذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير ، والتعبير للتصوير، فهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتدرجة"[1]

من المواضع التي جاءت فيها ألفاظ الحيوان مناسبة للمواقف التي صوّرها التعبير القرآني فمنحت الصورة قوة وجمالا. قوله تعالى: **" إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ "**[2]. كلمة الذبابة في الآية مناسبة للمضمون، فقد جاءت الآية ردا على اليهود والمشركين، ممن شككوا في صدق الرسالة، وراحوا يطعنون في القرآن الكريم، بحجة استغرابهم من هذه الأمثال، التي يضربها الله لهم قائلين أنها لا يمكن أن تصدر من الله، فالله يتنزه عن ذكر هذه الأشياء التافه، وذلك من باب السخرية، والتقليل من شأن الرسالة. ولكن الله أيد نبيه الكريم في هذه الآية، حين اختار الحشرة الضعيفة الحقيرة دون غيرها، وهي رمزٌ للهوان والضعف. [3] "فالله رب الصغير والكبير وخالق البعوضة والفيل والمعجزة في البعوضة هي ذاتها المعجزة في الفيل، إنها معجزة الحياة، معجزة السر المغلق الذي لا يعلمه إلا الله، على أن العبرة في المثل ليست في الحجم والشكل إنما الأمثال أدوات للتنوير والتبصير، وليس في ضرب الأمثال ما يعاب، وما من شأنه الاستحياء من ذكره، والله جلت حكمته يريد بها اختبار القلوب، وامتحان النفوس، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من

---

[1] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"** 90.

[2] . البقرة آية 26

[3] . الألوسي،محمود أبو الفضل:**"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"**، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج1: 206

ربهم، ذلك أن إيمانهم بالله يجعلهم يتلقون كل ما يصدر عنه بما يليق بجلاله وبما يعرفون من حكمته، وقد وهبهم الإيمان نورا في قلوبهم، وحساسية في أرواحهم"[1].

ونلاحظ أن اختيار لفظ الذباب في الآية السابقة _وأن كان ردا على المشككين في الدعوة_ يحمل رسالة قوية لأصحاب النفوس المريضة، تلامس العقول قبل القلوب؛ لعلهم يعودون إلى طريق الحق، ويعتبرون بهذه المخلوقات الضعيفة والعاجزة.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "والفاء عاطفة (ما فوقها) على (بعوضة) أفادت تشريكهما في ضرب المثل بهما، وحقها أن تفيد الترتيب والتعقيب، ولكنها هنا لا تفيد التعقيب، وإنما استعملت في معنى التدرج في الرتب بين مفاعيل) أن يضرب (ولا تفيد أن ضرب المثل يكون بالبعوضة ويعقبه ضربه بما فوقها بل المراد بيان المثل بأنه البعوضة وما يتدرج في مراتب القوة زائداً عليها درجة تلي درجة، فالفاء في مثل هذا مجاز مرسل علاقته الإطلاق عن القيد لأن الفاء موضوعة للتعقيب الذي هو اتصال خاص، فاستعملت في مطلق الاتصال، أو هي مستعارة للتدرج لأنه شبيه بالتعقيب في التأخر في التعقل كما أن التعقيب تأخر في الحصول ومنه : (رحم الله المحلقين فالمقصرين)"[2].

ومن بلاغة اختيار الالفاظ قوله تعالى: " **قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** "[3] . يقول ابن عاشور: " والمراد بالذئب جمع من الذئاب على ما عرفت آنفا عند قوله(وأخاف أن يأكله الذئب)؛ بحيث لم يترك منه، لذلك لم يقولوا فدفناه"[4]. إن استخدام المفرد (الذئب) هنا للدلالة على الجمع فيه بلاغة عجيبة، فقد استخدم التعبير القرآني كلمة الذئب لتكون متناسقة مع تركيب الآية. ولعل المراد هنا بالذئب كما أشرنا سابقا هي نفوسهم التي تآمرت على سيدنا يوسف عليه السلام.

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن الكريم" : ج1: 50.**

[2] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"** ج1: 363

[3] . يوسف آية 17

[4] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"** ج12: 237.

وقد ذهب قوم إن استخدم الأكل هنا بدل الافتراس نوع من البلاغة." وقد يطرأ سؤال: لماذا لم يستخدم التعبير القرآني الافتراس بدلا من الأكل؟ مع إننا نقول في هذا المقام: فافترسه الذئب وبخاصة وأن الذئب حيوان مفترس من شأنه أن يهجم على فريسته فيشبع بطنه ويرد جوعته بافتراس ما تيسر له منها من شحم أو لحم أو عظم ودم وينصرف عنها تاركاً دماءً تنزف وعظما تهشمّ وبقايا مختلطة من جلد وشعر وما إلى ذلك.ومعنى هذا أن (الافتراس) يعقبه عادة بقايا من الفريسة أو الضحية. و أن التعبير بالأكل دون الافتراس قد جاء تغطية أمينة لموقفهم الفاضح وفعلهم الجاهل... وفي ضوء هذا لم يكن ممكنا لإخوة يوسف - وهم يكذبون على أبيهم - أن يقولوا له: إن الذئب قد (افترس) أخاهم وإلاّ لسألهم الأب عما تبقّى من ابنه بعد حادثة الهجوم والافتراس."[1]

ونقول إن في هذا الكلام نوع من الصحة، "فالأَصل في الفَرْس دَقُّ العُنُق ثم كَثُرَ حتى جُعِل كل قتل فَرْساً يقال ثَوْر فَرِيس وبقرة فَرِيس وفي حديث يأْجوج ومأْجوج إِن اللَّه يُرْسِل النِّغَف عليهم فيُصْبِحُون فَرْسَى أَي قَتْلَى الواحد فَرِيسٌ من فَرَسَ الذئب الشاة وافترسها إِذا قتلها ومنه فَرِيسة الأَسد وفَرْسَى جمع فريس مثل قَتْلى وقَتِيل قال ابن السِّكِّيت وفَرَسَ الذئبُ الشاة فَرْساً"2.

وأما في قوله تعالى: " **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**"3 فيحث الله المؤمنين به وبرسوله بالهجرة في سبيل الله، ويطمئنهم على رزقهم من خلال استحضار صورة مخلوقاته الضعيفة التي لا تستطيع جمع الغذاء والاحتفاظ به بسبب عجزها، ومع هذا فرزقها ميسر من الله في كل يوم. والتعبير القراني في هذه الآية جاء تخفيفا من المولى عز وجل، حيث ضرب للمؤمنين المثل في الدواب العاجزة، ليخفف عن قلوبهم الشعور بالقلق على رزقهم. حين "يهجس في النفس خاطر القلق على الرزق بعد مغادرة الوطن والمال

---

[1] . راجع شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، قسم اللغة العربية، منتديات البلاغة والنقد. (شبكة المعلومات، (الإنتر نت))

[2] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"**: مج6: 161.

[3] . العنكبوت 60

ومجال العمل والنشاط المألوف، وأسباب الرزق المعلومة. فلا يدع هذا الخاطر دون لمسة تقر لها القلوب"[1].

ولهذه الآية مناسبة عظيمة. ألا وهي الهجرة من أجل الله، فقد "روى أن النبي _صلى الله تعالى عليه وسلم_ أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة المهاجرة إلى المدينة قالوا: كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح... الله يرزقها وإياكم ثم إنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو عزوجل المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالمهاجرة ولما كان المراد إزالة ما في أوهامهم من الهجرة على أبلغ وجه قيل : يرزقها وإياكم دون يرزقكم"[2]

وقد يتساءل بعض الناس عن الصورة الفنية في هذه الآية، لذلك نجيب بالقول إن جمال التعبير في هذه الآية يكمن في حسن اختيار المثل، واستخدامه في الموقف المناسب، فحال المؤمنين في ذلك الوقت يحتاج نوعا من التخفيف، وقد جاء استخدام المثل هنا مبدوءا (بكأين) التي نجيب عنها بقولنا: كثيرا يحمل رسالة طمأنة إلى قلوب المؤمنين ممن هاجروا في سبيل الله. ومن أحق منهم بهذه الطمأنة؟ يقول الشوكاني: " ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب فقال: {وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم} قد تقدم الكلام في كأين وأن أصلها (أي) دخلت عليها (كاف التشبيه) وصار فيها معنى (كم) كما صرح به الخليل وسيبويه وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد من دابة"3

ومن جمال اختيار الأمثال قوله تعالى:" **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** "[4] أمامنا في هذه الآية مشهد عظيم. " إنه مشهد واحد

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2749

[2] . الألوسي، محمود أبو الفضل: **"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"**، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج21: 11

[3] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ج4: 211

[4] . الملك آية 19

ذو منظرين. منظر الطير باسطات أجنحتها صافات أرجلها، ومنظرها كـذلك قابـضات. هـي صورة حية متحركة يراها الناس كل لحظة، فيمرون بها غافلين، فهو يلفت إليها أنظارهم ليروها بالحس الشاعر المتأثر دليلا على قدرته ورحمته"[1]

وفي قوله تعالى: " **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ** "[2] يظهر حسن اختيار المثل، فقد ركز الله في هذه الآية على نوع واحـد من الطعام التي نحصل عليه من الأنعام ألا وهو اللبن، وذلك لتتناسق الآية مع مـا قبلهـا ومـا بعدها، فقد جاء الحديث في الآية السابقة عن الماء وهو شراب في قوله تعالى: " **وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِـنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** "[3]. كما جاء الحـديث فـي الآية اللاحقة عن السكر في قوله تعـالى: " **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْـهُ سَـكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** "[4] ثم تابع الحديث في الآيات اللاحقة عن العسل وكلها من الشراب.

أما في قوله تعالى: " **وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ** "[5] فقد تحدثت الآية عن الطعام والشراب الذي تعطينا إياه هذه الأنعام.وذلـك حتى تناسب الآيات السابقة وهي قوله تعالى: " **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْـأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَـا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ** "[6] "ولم تقف دقة التنسيق عند وحدة المنظر العامة، بـ تمشت إلى دقائق الجزئيات: فهذا السكر يستخلص من الثمرات المخالفة في هيئتها وطبيعتها للسكر؛ وهذا العسل يستصفى من الأزهار، المخالفة في هيئتهـا وطبيعتهـا للعسل، وهذا اللبن يستخرج من بين فرث ودم، المخالفين في هيئتهما وطبيعتهما للبن، فهي كلها

---

[1] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"** : 69.

[2] . النحل 66

[3] . النحل 65

[4] . النحل 67

[5] . المؤمنون 21

[6] . المؤمنون (18-20)

تستحيل من أشياء أخرى. ثم المنظر كله منظر زراعي حيواني فيه حياة"[1]. "وقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ذهب بالأنعام إلى معنى النعم أو حمله على معنى الجمع."[2]

ويندرج تحت حسن اختيار الألفاظ والأمثال ما يسمى بالمقابلات. **قال تعالى: "من آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم، إذا يشاء قدير"**3. يكمن جمال الصورة في هذه الآية بسرعة المقابلة بين المتضادات، فالبث والجمع كلمتان متضادتان، واختيارهما في الحديث عن صورة بث الدواب، وجمعها دليل على قدرة الله في الخلق، وعظمة الإبداع اللغوي الذي عَبّر فيه الله _عز شأنه_ عن قدرة الخالق التي لا تجاريها قدرة. يقول سيد قطب: "هناك تلك المقابلات الدقيقة بين الصور التي ترسمها التعبيرات_ والتقابل طريقة من طرق التصوير وطريقة من طرق التلحين. والتعبير القرآني يكثر من استخدامها في تنسيق الصورة التي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق_ من ذلك هاتان الصورتان السريعتان للبث والجمع في قوله: "من آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة، وهو على جمعهم، إذا يشاء قدير" فصورة بث الدواب، وصورة جمعها، تلتقيان في سطر، بينما الخيال نفسه يكاد يستغرق مدى أطول في تصورهما: واحدة بعد الأخر"4.

وتبرز البلاغة في استخدام الألفاظ في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف:" **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**"[5] . "واللاّم في لئن أكله موطّئة للقسم، أرادوا تأكيد الجواب باللاّم. وإنّ ولام الابتداء وإذن الجوابيّة تحقيقاً لحصول خسرانهم على تقدير حصول الشّرط. والمراد : الكناية عن عدم تفريطهم فيه وعن حفظهم إيّاه لأنّ المرء لا يرضى أن يوصف بالخسران"[6].

---

[1] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن**: (121-122)

[2] . أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي : **"البرهان في علوم القرآن"** تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت، 1391م. ج3: 360

[3] . سورة الشورى آية 29

[4] . قطب، سيد: **"التصوير الفني في القرآن"**: 96.

[5] . يوسف آية 14

[6] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"**: **ج232/12**

ومن النماذج التي يمكننا إدراجها تحت حسن اختيار الصور قوله تعالى في وصف جهنم: " **إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا** "[1]. فالصورة قوية بعناصرها، فتشبيه النار بحيوان غاضب يهمّ بالتهام فريسته فيه نوع من الردع لكل كافر معاند، حيث تُظهر هذه الصورة هول الموقف الذي تستقبل فيه جهنم ضيوفها من الكفار والمشركين، فالقارئ المتدبر لهذه الآية يلمس عمق التصوير، إنه تصوير بديع بمنحه الحياة للنار، من أجل هدف عظيم ألا وهو إدخال الرهبة في قلوب المعاندين الكفار. وقد أشار الباقلاني إلى هذه الآية في حديثه عن الاستعارة فقال: "ومن هذا الجنس في القرآن يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد، وقوله إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا"[2].

نعم لقد أضفى التعبير القرآني على جهنم الحركة، ومنحها الحياة، بحسن اختيار الصورة وتناسقها. إنها جهنم النهمة المتغيظة التي لا يفلت منها أحد، ولا تشبع. جهنم التي تدعو من كانوا يُدعون إلى الهدى فيدبرون، وهم لدعوتها على الرغم منهم يجيبون! جهنم التي ترى المجرمين فتتغيظ، وتفور. يقول الشريف الرضي: " وفي هذه الآية استعارتان. إحداهما قوله سبحانه: (إذا رأتهم) وهو صفة نار جهنم، نعوذ بالله منها، ولا تصح صفة الرؤية عليها. إنما المراد _والله أعلم_ إذا كانت منهم بمقدار مسافة لو كان بها من يوصف بالرؤية لرآهم. وهذا من لطائف التأويل، وغرائب التفسير. وقد يجوز أيضا أن يكون معنى ذلك، إذا قرُبت منهم، وظهرت لهم. من قولهم: دور بني فلان تتراءى. أي تقترب. وفي الحديث: (لا تتراءى ناراهُما) أي لا تتدانى. والاستعارة الأخرى قوله سبحانه: "(سمعوا لها تغيظا وزفيرا) وهاتان الصفتان من صفات الحيوان، ويختص التغيظ بالإنسان، لأن التغيظ من أعلى منازل الغضب، والغضب لا يوصف بحقيقتة إلا الناس"[3].

---

[1] . سورة الفرقان آية 12

[2] . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم: "**إعجاز القرآن**" تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة: 78.

[3] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 206.

هكذا وظف القرآن الكريم ألفاظ الحيوانات والطيور، فاختارها بدقة متناهية، ورسم بصورها صورا عظيمة، وأخرى غريبة. تلك هي الريشة المبدعة، ريشة التعبير القرآني، ريشة التصوير الفني. إنها ريشة أخرجت لنا صورا ملأت آيات القرآن ألوانا من الإبداع، فانشرحت لها النفوس، وفُتحت لها القلوب محتضنة للهدف مؤمنة به رغم السواد الجاثم عليها.

الفصل الثالث

علاقة الصورة بالدلالة والمضمون.

المبحث الأول: علاقة دينية.

المبحث الثاني: علاقة فنية.

المبحث الثالث: علاقة نفسية عقائدية متوارثة.

الخاتمة: تلخيص أهم النتائج التي يتوصل إليها البحث.

الفصل الثالث

علاقة الصورة بالدلالة والمضمون.

مدخل...

توجد علاقة وثيقة لصورة الطير والحيوان في القرآن بالدلالة والمضمون، فالقرآن الكريم المعجز بأسلوبه التصويري لم يغفل الدلالات على اختلاف أنواعها. لذلك جاء بالصورة منتزعة من واقع الإنسان حيث كان لهذ الصورة علاقة بحياة الناس. ولأن القرآن رسالة معجزة بالأسلوب والمضمون. فقد ضمن التعبير القرآني الصور الفنية في رسائل إلهية أرادها أن تصل إلى الناس أجمعين، فاختار الكلمات لتناسب الدلالات، لذلك جاءت الرسالة منتقاة، ومناسبة للأهداف. يقول سيد قطب في مقدمة التصوير الفني في القرآن: "إن حقيقة جديدة تبرز لي. أن الصور في القرآن ليست جزءا منه يختلف عن سائره. إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل. القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض_ فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال..."[1] بما أن التصوير قاعدة التعبير في الكتاب العظيم فلا بد أن تكون الصورة القرآنية مكتملة في عناصرها، مبدعة في أسلوبها.

ومن هنا فإن البحث في صور الطير والحيوان يحتم علينا الوقوف عند علاقة هذه الصور بالدلالة والمضمون. لهذا وجدنا أن العلاقة يمكن درستها ضمن الدلالة الدينية والفنية والاجتماعية. وسنبدأ بالدلالة الدينية لما لها من صلة وثيقة بهذا الكتاب، فرسالة القرآن رسالة دينية عظيمة، أول أهدافها غرس القيم والمبادئ الإسلامية الحقيقية، وتثبيت الإيمان بالله تعالى، وكتبه ورسله.

* العلاقة الدينية:

عند دراسة علاقة صورة الطير والحيوان بالدلالة الدينية فإننا لا بد أن نتذكر نظرة الإسلام إلى الحيوانات والطيور فقد عني الإسلام بهذه المخلوقات لأهميتها في الحياة أولا ،

[1] . قطب، سيد: **" التصوير الفني في القرآن"** دار الشروق، القاهرة: 9

ونفعها للإنسان ثانيا، ولأنها من آيات عظمة الخالق وبديع صنعه ثالثا. وكثر الحديث عن الحيوانات وحقوقها في كثير من مجالات التشريع الإسلامي، حتى إن عددًا من السور في القرآن الكريم سميت بأسمائها كالبقرة، والأنعام، والنحل، والنمل، والعنكبوت، والعاديات والفيل.

وقد نظر الإسلام إلى هذه المخلوقات نظرة واقعية، وحدد للإنسان علاقته بها، وذلك من خلال لفت انتباهه إلى حقيقة هذه المخلوقات. **قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"**[1].

وكما أن الدين الإسلامي تفرد في رفقه بالحيوان، وذلك بربط هذه الرعاية بالحساب في اليوم الآخر، سواء أكان ثوابًا أم عقابًا **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي. فَمَلأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"**[2].

وقد يخطر سؤال مؤداه: لماذا يحط القرآن الكريم في بعض آياته من قيمة الحيوان؟ هنا نجيب بالقول إن الحيوان في معظم الآيات التي صور الله فيها بعض المواقف المنحطة لم يكن مقصودا في هذه الصور، بل ما شُبه به كما في **قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"**[3] فالمقصود هنا هم اليهود الذين لم يعملوا بما أنزله الله في التوراة.

ومن الملاحظ أن العلاقة الدينية التي تتضح في صور الحيوانات والطيور تنبع من النظرة الواقعية التي نظر بها الإسلام إلى هذه المخلوقات، فعالم الحيوان والطير معروف منذ أقدم العصور،أوجده الله على الأرض لخدمة البشرية، لكنّ تعامل الإنسان مع هذه المخلوقات

---

[1] . الأنعام: 38.

[2] . البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله:**"الجامع الصحيح المختصر"**،تعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م: ج2\ 833.

[3] . سورة الجمعة آية 5

اختلف باختلاف الثقافة الاجتماعية التي سادت على مرّ العصور، وهذا ما ساهم في نشر كثير من الأساطير والخرافات حول عالم الحيوانات والطيور.

ومما لا شك فيه أن مضمون الآيات القرآنية التي كان الطير والحيوان جزءا من صورها قد حمل في طياته أهدافا دينية وأغراضا إسلامية رسمها التعبير القرآني من خلا صور فنية رائعة، ومن أهم هذه الأهداف.

أولا: إظهار قدرة الله في خلقه.

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم معجزة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوم كانت الفصاحة براعتهم فتحداهم ببلاغته وبراعته فعجزوا عن الإتيان بمثله أو حتى بسورة من مثله. **قال تعالى: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"**[1]. وبالرغم من عجز هؤلاء القوم أمام الكتاب العظيم ظلوا معاندين لدعوة التوحيد، منكرين للرسالة، فراحوا يعبدون دون الله آلهة كثيرة. ويتصدون لكل من آمن بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم، فخاطبهم الله في كثير من الآيات بأسلوب يسهل على كل غافل فهمه. وهو التوصل إلى عظمة الخالق من خلال التفكر بالمخلوقات الدالة على قدرته، وعظيم صنيعه. وقد "ذكر تعالى ما خلق في الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والأوعار وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات في البراري والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذي هي محتاجة إليه في ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها"[2]. وقد أبدع الله _عز شانه_ في خطاب العقول بأسلوب بلاغي يغلب عليه التصوير الفني. فكان القرآن الكريم العامل الحاسم أو أحد العوامل الحاسمة في إيمان كثيرين ممن آمنوا برسالة الإسلام العظيمة.

---

[1]. سورة البقرة آية 23

[2] . أبو الفداء، اسماعيل بن عنم بن كثير: **"البداية والنهاية"** مكتبة المعارف، بيروت: ج1\ 29

ومما يلفت الانتباه أن الحيوانات والطيور حازت على نصيب كبير من الصور التي استخدمها القرآن الكريم لإظهار قدرة الخالق على الخلق، ولعل ذلك يعود إلى قرب هذه المخلوقات من الإنسان وحاجته الماسة إليها. وقد نظم التعبير القرآني هذه الصور في آياته نظما عجيبا، فجاء بكلمات لا يصلح في مكانها غيرها تعبر عن معانيها بدقة وإحكام، وتبعث في الصورة الحركة وتبث فيها الحياة.

من لطائف الصور التي تنطوي تحتها عجائب وأسرار كثيرة. **قوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"[1].** لقد اقترب التعبير القرآني في هذه الآية بالصورة حتى تكون أقرب إلى أفهام الناس، فلما ضرب الله تعالى الأمثال للناس انتزعها من بيئتهم، حتى تصل الرسالة إليهم بكل يسر وسهولة، وبذلك لا تكون لهم أي حجة يحتجون بها. يقول السيوطي: "لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وكانت الإبل عيشا من عيش العرب وخولا من خولهم"[2]. وجاء في اللسان أن الخول يطلق على ما أعطاه الله للإنسان من نعم. "قال الفراء هو جمع خائل وهو الراعي وقال غيره هو مأْخوذ من التخويل وهو التمليك قال ابن سيده والخَوَل ما أَعطى اللهُ سبحانه وتعالى الإِنسانَ من النَّعَم والخَوَل العبيد والإِماءُ"[3]

وفي هذا التعبير القرآني يلفت الله نظر المعاندين بأسلوب بلاغي بسيط، فقد جاء الاستفهام هنا لتوبيخ الكفار، وتقرير ك ما أنكره هؤلاء من أمور أخبرهم عنها النبي العظيم. "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت الاستفهام للتقريع والتوبيخ والفاء للعطف... والجملة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه"[4]. وقد "ذكره لمنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعده لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدها لأهل ولا يته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة الله على هذه الأمور إلى الإبل كيف خلقت، وسخرها لهم، وذللها،

---

[1] . الغاشية: 17.

[2] . السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين: " **الدر المنثور**" ، دار الفكر، بيروت، 1993م: ج8\ 494.

[3] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م: مادة خول مج11\ 224

[4] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ج5\430

وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصفت من هذه الأمور في الجنة والنار"[1].

ومن الصور التي جاء بها التعبير القرآني لإظهار قدرة الله عز وجل **قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ"**[2]. **وقوله عز وجل: "أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"** [3]. إن هذا التصوير القرآني لحركة الطير في السماء تصوير عجيب يخلب الألباب، فلا شك بأن الإنسان قد شاهد هذا المنظر مرارا وتكرارا. فلماذا يستخدم الله هذه الصورة البسيطة من مشهد الطيور في الجوّ؟

إن العبرة في استخدام هذه الصور القريبة من الإنسان عظيمة، فليست هناك حاجة للإتيان بصورة بعيدة، وذلك لأن قدرة الله في تذليل الهواء للطيور، كما ذلل الأرض للإنسان لا تفوقها قدرة. " ومشهد الطير مسخرات في جو السماء، مشهد مكرور، قد ذهبت الألفة بما فيه من عجب، وما يتلفت القلب البشري عليه إلا حين يستيقظ، ويلحظ الكون بعين الشاعر الموهوب. وإن تحليقة طائر في جو السماء لتستجيش الحس الشاعر إلى القصيدة حين تلمسه. فينتفض للمشهد القديم الجديد..(ما يمسكهن إلا الله) بنواميسه التي أبدعها فطرة الطير وفطرة الكون من حولها، وجعل الطير قادرة على الطيران، وجعل الجو من حولها مناسبا لهذا الطيران، وأمسك بها الطير لا تسقط وهي في جو السماء."[4]

الاستفهام في الآية السابقة استفهام مجازي فيه معنى التقرير وقد جاء التعبير القرآني بهذه الصورة للطير حتى يخاطب عقول الناس سواء أكانوا معاندين أم غافلين. يقول القرطبي: "نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والأرض في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى

---

[1] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ، دار الفكر، يروت، لبنان، 1988م مج15: 165

[2] . الملك آية 19

[3] . النحل آية 79

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4 : 2186

تفعل ذلك، وسخر الهواء يحملها، ويسير الطير كذلك."[1] فجاء التنبيه دليلا قاطعا على القدرة الإلهية في إبداع هذا الكون حيث "بين لهم كيف يعتبرون بها على وحدانيته. «إن في ذلك لآيات» أي علامات وعبرا ودلالات. «لقوم يؤمنون» بالله وبما جاءت به رسلهم"[2] .

ونلاحظ مما سبق أن الحيوانات والطيور من آيات الله التي ساقها للدلالة على قدرته في الخلق، فليس هناك حاجة لتحليق الإنسان بعيدا حتى يتوصل إلى خالقه، فأمامه صور حقيقية يشاهدها صباح مساء، وتدور حوله على الأرض وفي جو السماء، وحقيق به أن يدرك هذه الصور بقلبه وعقله.

ثانيا: وتأييد الرسائل الإلهية:

ساق الله بعض الصور الفنية بجانب الصور الحقيقة لتأييد رسائله الإلهية فأمام الإنكار والعناد لا بدّ من دليل قاطع يوضح صدق الرسالة، ويثبت بطلان ما دونها. فمن طبع الإنسان إنكار كل جديد؛ لذلك أيد الله عز شانه _وهو الخبير بعباده_ رسله بمعجزات حقيقية، كانت الحيوانات أو الطيور جزءا منها، فحية موسى، وناقة صالح، والقمل والجراد، والضفادع وغيرها آيات بينات أرسلها الله عز شأنه لتأكيد صدق رسائله، وإرشاد عباده إلى طريق الخير. **قال تعالى: "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين"[3].** "وسمى الله هذه آيات لأنها دلائل على صدق موسى لاقترانها بالتحدي، ولأنها دلائل على غضب الله عليهم لتضافرها عليهم حين صمموا الكفر والعناد."[4]

وفي الكون كثير من الآيات التي استخدمها التعبير القرآني لإثبات صدق رسائله. اختار منها عز شأنه ما يناسب المواقف التي أراد إثباتها. فجاء التعبير القرآني بالصور موزونة حيث كوّنت عناصر الصورة شكلا متناسق الأجزاء لا يمكن أن يحلّ فيه جزء مكان الآخر.

---

[1] . ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل: **"تفسير القرآن العظيم"** ، دار إحياء الكتب العربية، ج2\ 579

[2] . القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **" الجامع لأحكام القرآن"**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: 1967م: ج10\ 152

[3] . الأعراف 133

[4] . ابن عاشور، محمد الطاهر:**"التحرير والتنوير"** ج9: 90.

ومن الملاحظ أن الصور الفنية والحقيقية شكلت دليلا واضحا على صدق الرسائ . فحية موسى معجزة حقيقية، تحدث عنها القرآن في مواضع عديدة، وقد جاء ذكرها في **قوله تعالى: "فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى"**[1] **وقوله:"فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ"**[2]. وقد كان تحول العصا أمام الطاغية فرعون إلى ثعبان مبين. وتحولها أمام موسى إلى حية تسعى حكمة إلهية عظيمة. ففي استخدام اللفظين تبرز براعة بيانية، وحكمة إلهية فكل كلمة في القرآن تأتي في الموضع المناسب، ولا يمكن أبداً إبدالها بكلمة أخرى، وهذا إعجاز بياني، قد مرّ معنا الحديث عنه الفصل الثاني من هذا البحث، وذلك في توضيح سبب استخدام كلمة ثعبان في الحديث عن تحوّل العصا أمام فرعون وحية في الحديث عن تحولها أمام موسى[3].

ومن الصور الحقيقية التي أيد الله بها رسله تسخير الطير والجبال مع سيدنا داوود يسبحن الله. **قال تعالى: "فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ"**4**.** إن تسبيح الطير في هذه الآية سواء أكان على سبيل الحقيقة أم المجاز دليل على تأييد الله تعالى لرسله، حيث هيأ لهم جنودا من الإنس وغيرهم. فإذا عاند الناس أنبياء الله، فإن الله يغني أنبياءه _من فضله_ بجنود من مخلوقاته الأخرى. **قال تعالى: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ"**5.في هذه الآية يبين الله للناس قدرته على نصرة أنبيائه، فبجانب جنودهم من الإنس هناك جنود من الجن والحيوانات.

وفي كلام النملة مع بني جنسها شيء من اللطف، فالنملة تأمرهم بالدخول إلى مساكنهم مبينة مدى الخطر الذي ينتظرهم من سليمان وجنوده إذا بقوا خارج المساكن، وكأنها تعلم أن

---

[1] . طه 20

[2] . الأعراف 107 والشعراء 32

[3] . راجع الصور المكررة في الفصل الثاني من هذا البحث.

[4] . سورة الأنبياء آية 79

[5] . سورة النمل آية (17-18)

سليمان يفهم ما تقول؛ لهذا نراها تتحدّث أمامه بأدب فتلتمس لسليمان وجنوده العذر إذا حطموا رفاقها، وذلك في قولها: (وهم لا يشعرون).

ونلاحظ مما سبق أن القرآن الكريم جاء بالحيوانات والطيور، معجزات حقيقية أيد بها رسالته، كما جاء بها في مواضع بلاغية رسمت للناس حتى يعتبروا. ويأخذوا هذه الصور دليلا على عظمة هذا القرآن في بلاغته وفصاحته.

ثالثا: الردع أو الزجر

استخدم التعبير القرآني الردع والزجر لإبعاد الناس عن الظلمات، وإدخالهم في عالم النور. وقد صوّر الله تعالى كثيرا من الأعمال وأصحابها بأساليب منفرة كنوع من الردع أو الزجر غير المباشر؛ وذلك بهدف تنوير العقول وترك المجال لعباده حتى يقرروا مصيرهم. **قال تعالى:" وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"**[1]. نحن نعلم أن الأنعام من المخلوقات التي تأنف النفس أن تكون شبيبه بها، فهي لا تفقه ما يقال ولا تميز الخير من الشرّ؛ لذلك اختارها الله في هذا التصوير لردع الذين يتفكرون بهذه الآيات، فحتى إذا ما تخيلوا تلك الصورة التي عليها أصحاب الجحيم عاد إليهم رشدهم وحادوا عن طريق الكفر والضلا . جاء في تفسير الطبري: " يعني جل ثناؤه بقوله: { أولئك كالأنعام } هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالأنعام وهي البهائم التي لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح ولما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما فشبههم الله بها إذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آي كتابه ثم قال : { بل هم أضل } يقول: هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا من الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز وإنما هي مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح. والذين وصف الله صفتهم في هذه الآية مع ما

[1] . الأعراف 179

أعطوا من الإفهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك عقولهم ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها."[1]

وفي حديث القرآن الكريم عن المنافقين ينفر الله عز شأنه منهم، ومن أعمالهم بتلك الصوة التي رسمها لهم. فقد شبههم بالأنعام في **قوله تعالى: "إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ "2** فصورة كهذه بدأها الله تعالى **بقوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ"[3]** يبدو التحذير فيها واضحا تمام الوضوح، فالله عز شأنه لم يكتف بتنبيه المؤمنين إلى البعد عن طريق المنافقين بهذا النهي المباشر، بل يرسم لهؤلاء صورة منفردة حتى تكون رادعا أقوى لكل من آمن وعَقِل، فقد قصد بالدواب هنا كل من على الأرض، لكنه أشار إلى أكثر هذه الدواب شرّا، وهي الدواب الصمّ والبكم الذين لا يعقلون. يقول سيد قطب: "الهتاف هنا للذين آمنوا ليطيعوا الله ورسوله، ولا يتولوا عنه ويسمعون آياته وكلماته..إن هذا الهتاف هنا يجيء بعد جميع مقدماته الموحية.. يجيء بعد استعراض أحداث المعركة، وبعد رؤية يد الله فيها، وتدبيره وتقديره، وعونه ومدده، وبعد توكيد أن الله مع المؤمنين، وأن الله موهن كيد الكافرين. فما يبقى بعد ذلك كله مجال لغير السمع والطاعة لله والرسول. وإن التولي عن الرسول وأوامره بعد هذا كله ليبدو مستنكرا قبيحا لا يقدم عليه إنسان له قلب يتدبر وعقل يتفكر.. ومن هنا يجيء ذكر الدواب في موضعه المناسب."[4] جاء في تفسير الطبري: "حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق: {إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون} لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة"[5]

ومن الصور التي تحتاج إلى تدبر قليل، حتى تشكل رادعا قويا لأولي الألباب. صورة جهنم التي أبدع القرآن في رسمها، حتى تكون أكثر تأثيرا في النفوس، وأسرع وصولا إلى

---

[1] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج6: (132-133)

[2] . الأنفال آية 22

[3] . الأنفا (20-21)

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج3: 1493

[5] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج6: 212

القلوب. **قال تعالى: " انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ"**[1] **وقال تعالى: " إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا"2.** إننا نلمس في هاتين الآيتين الصورة الهادفة التي عبّر القرآن فيها عن عظمة النار تخويفا لكل معاند لدعوة الإسلام. فقد بثت الصورة الحياة في النار من خلال التشخيص. وفي الآية الثانية استعارة تمثيلية، فقد شبه صوت غليان النار بصوت المغتاظ وزفيره، وقد أضفى التشخيص في هذه الآية شيئا من الرهبة، "والتشخيص... فن في القرآن، يرتفع بالصورة والمشاهد التي يعرضها إلى حد الإعجاز، بما يبث فيها من عنصر الحياة"[3]. فمشهد النار في الآية الثانية مشهد رهيب. "ونحن هنا أمام مشهد السعير المستعرة، وقد دبت فيها الحياة! فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة. تراهم من بعيد! فإذا هي تغيظ و تزفر فيسمعون زفيرها وتغيظها، وهي تتحرق عليهم، وتصعد الزفرات غيظا منهم، وهي تتميز من النقمة، وهم إليها في الطريق!... مشهد رعيب يزلزل الأقدام والقلوب! ثم هاهم أولاء قد وصلوا. فلم يتركوا لهذه الغول طلقاء. يصارعونها فتصرعهم، ويتحامونها فتغلبهم. بل ألقوا إليها إلقاء. ألقوا مقرنين."[4] قال ابن عباس في تفسيره: "(سمعوا لها تغيظا) للنار (تغيظا) كتغيظ بني آدم (وزفيرا) صوتا كصوت الحمار"[5]

وجاء في معنى هذه الآية: "قيل معنى إذا رأتهم: إذا ظهرت لهم فكانت بمرأى الناظر في البعد وقيل المعنى: إذا رأتهم خزنتها وقيل إن الرؤية منها حقيقية وكذلك التغيظ والزفير ولا مانع من أن يجعلها الله سبحانه مدركة هذا الإدراك ومعنى {من مكان بعيد } أنها رأتهم وهي بعيدة عنهم قيل بينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام ومعنى التغيظ: أن الصوت الذي يسمع من الجوف قال الزجاج : المراد سماع ما يدل على الغيظ وهو الصوت: أي سمعوا لها صوتا يشبه صوت المتغيظ"[6]. إن النار سواء أكانت ترى وتتغيظ حقيقة، أوتصدر من الأصوات ما تشاء، فإنها في

---

[1] . المرسلات آية (30-33)

[2] . سورة الفرقان آية 12

[3] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: 2554

[4] . السابق ج5: (2554-2555)

[5] . ابن عباس، "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م: 380.

[6] . . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج4\ 64

هذه الآية قد صوّرت بأسلوب أضفى عليها ألوانا من الرهبة، فهي كحيوان مفترس يهم بالتهام فريسته.

والمشهد في الآية الأولى لا يختلف كثيرا عن المشهد في الآية الثانية، فالخطاب القرآني في الآية الأولى لجأ إلى أسلوب التهكم؛ حتى يميز أصحاب العقول ما يلاقيهم من شرّ إذا أصروا على عنادهم. "فها هو أمامكم حاضر مشهود. (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) إنه ظل لدخان جهنم تمتد ألسنته في ثلاث شعب. ولكنه ظل خير من الوهج: (لا ظليل ولا يغني من اللهب) إنه ظل خانق حار لافح. وتسميته بالظل ليست إلا امتدادا للتهكم، وتمنية بالظل تتكشف عن حر جهنم."[1]

ومن الأساليب التي لجأ إليها القرآن الكريم لردع الكفار ذكر قصص الأمم السابقة والتركيز على أنواع الغضب والعذاب التي أنزلها الله على المعاندين منهم. **قال تعالى: "قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ"**[2]. في هذه الآية يلفت الله نظر الكفار إلى قضية مهمة. ألا وهي إيقاع العذاب الفوري على المعاندين أصحاب الضلال. فكأن كلمات هذه الآية تخاطب كل مشرك ومعاند، فنسمعها تقول أنظروا لقد سلط الله على قوم لوط جندا من جنوده، لقد سلط عليهم حجارة ليست كأي حجارة إنها حجارة مسومة تعرف طريقها، فلا تضل هدفها. هي كالخيول المرسلة في ساحة القتال تهتدي إلى هدفها، فلا تخون فارسها، بـ تدافع عنه بكل ما أوتيت من عزم. "وهذه الحجارة الطينية المعلمة أو المعدة المجهزة عند الله للمسرفين المتجاوزين الحق _وقوم لوط كانوا مسرفين في تجاوزهم للفطرة والحق والدين_ لا يمتنع أن تكون حجارة بركان ثائر يقذف بالحمم الطيني من جوف الأرض. فهي (عند ربك) بهذا الاعتبار مسلطة _وفق إرادته ونواميسه_ على من يريد من المسرفين. مقدرة بزمانها ومكانه وفق علمه وتدبيره القديم"[3]

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6 :3793

[2] . الذاريات آية (33-35)

[3] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6: 3383

ومن الآيات التي ساقها الله تعالى للردع والتخويف **قوله تعالى:"وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"** [1] **وقوله تعالى:" قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ"**[2] **وقوله:"فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"** [3] إن هذه الآيات إذ تعبر عن المصير الذي آل إليه قوم من بني إسرائيل حين خالفوا أوامر المولى عز وجل فإنها تعكس لأولي الألباب عبرة أرادها الله من ذكر ما آل إليه هؤلاء القوم من أصناف العذاب، فهل هناك أمر أعظم من أن يمسخ الإنسان قردا؟ إن هذا التحوّل الفظيع من عالم الكرامة إلى عالم الرذالة يجعل الإنسان يقف مذهولا، فما أصعب أن يجد الإنسان نفسه وقد أصبح جزءا من عالم الحيوان بعد أن كان من أكرم المخلوقات.

في الآية الثانية توجيه من الله عز شانه إلى رسوله الكريم. " والله _سبحانه_ يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم لمجابهة أهل الكتاب بهذا التاريخ وبذلك الجزاء الذي استحقوه من الله تعالى هذا التاريخ... كأنما هم جيل واحد بما أنهم جبلة واحدة.. يوجهه ليقول لهم إن هذا شر عاقبة: (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) أي شرّ من نقمة أهل الكتاب على المسلمين، وما يكيدون لهم وما يؤذونهم بسبب إيمانهم، وأين نقمة البشر الضعاف من نقمة الله وعذابه، وحكمه على أهـ الكتاب بالشر والضلا ل عن سواء السبيل: (أؤلئك شرّ مكانا وأضل عن سواء السبيل)..."[4]

ومن الصور الفنية التي أبدعها الله عز وجل لتكون رادعا للناس **قوله تعالى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ"**[5]. فقد جاءت هذه الآية بعد ثلاث آيات اشتملت على استفهام ساقه الله تعالى لتعظيم شأن يوم القيامة، فكانت هذه الآية متوسطة بين استفهام وصورة فنية تبين حا

---

[1] . البقرة 65

[2] . المائدة 60

[3] الأعراف 166

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج2: 927

[5] . القارعة 4

الجبال في هذا اليوم العظيم، وهذا ما جعلها تشكل رأس الهرم في تصوير الله لليوم الآخر، وما فيه من أهوال تذهل منها كل مرضعة عما أرضعت، ويفرّ بسببها المرء من أبيه وأمه وأخيه.

وإذا ما تتبعنا كثيرا من صور الطير والحيوان في القرآن الكريم فإننا نجدها تحمل في طياتها نوعا من الردع أو الزجر. وما قدمناه هنا هو نماذج بسيطة توضح مدى مساهمة هذه الصور في ردع الناس، وإبعادهم عن طريق الشرّ.

رابعا: مواساة النبي صلى الله عليه وسلم.

وسعت رحمة الله تعالى كـ شيء، فهو تعالى أرحم بعباده من الأم بطفلها، وقد كان أولى الناس بهذه الرحمة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي تحمل كثيرا من أنواع العذاب والأذى في سبيل إبلاغ رسالة الله إلى عباده. من مظاهر رحمة الله بنبيه العظيم التخفيف من معاناته، فقد لاقى من الإعراض والأذى كثيرا، لذلك لجأ الله إلى إبداع بعض الصور الفنية تخفيفا عن نبيه الكريم، ورأفة بقلبه صلى الله عليه وسلم. **قال تعالى: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"**[1].

في الآية خطاب مباشر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يأمر الله _عز وجل_ فيه سيدنا محمد بالتولي عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون: هذا سحر مستمر، كما يأمره بالإعراض عنهم، وانتظار اليوم الذي يدعو فيه الداعي إلى شيء نكر وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء، والزلازل والأهوال، وقد اختار التعبير القرآني بعض الحيوانات لتلعبَ دورا في التخفيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومواساته. يقول سيد قطب: "وعند هذا الحد من تصوير إعراضهم وإصرارهم وعدم انتفاعهم بالأنباء، وقلة جدوى النذر مع هؤلاء. يتوجه الخطاب إلى رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ للإعراض عنهم وتركهم يلاقون اليوم الذي لا يحفلون النذير باقترابه"[2]

---

[1] . القمر (6-7)

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6: 2429

ومن هذه الصور أيضا **قوله تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا"**[1]. في هذه الآية تصوير لحال الكفار يحمل في طياته مواساة كبيرة للرسول _صلى الله عليه وسلم_ فكلمات هذه الآية تلتقي بشكل متسلسل لتشكل تعبيرا يخفف من معاناة الرسول في هداية هؤلاء، فالآية تبدأ باستفهام بسيط يلفت الله تعالى به نظر نبيه الكريم إلى حال هؤلاء، وتنتهي بتشبيه بديع ؛وذلك حتى يمر الهدف من خلال الصورة إلى قلب النبي مباشرة. "أي هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك تعقل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم"[2].

والتصوير في هذه الآية يصرح للنبي _صلى الله عليه وسلم_ بعدم انتفاعهم بما يسمعون، وبقلة جدوى الدعوة فيهم. "أي ما هم في الانتفاع بما يسمعونه إلا كالبهائم التي هي مسلوبة الفهم والعقل فلا تطمع فيهم فإن فائدة السمع والعقل مفقودة وإن كانوا يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يتلى عليهم، ولكنهم لما لم ينتفعوا بذلك كانوا كالفاقد له ثم أضرب سبحانه عن الحكم عليهم بأنهم كالأنعام إلى ما هو فوق ذلك فقا : {بل هم أضل سبيلا } أي أضل من الأنعام طريقا"[3]

ومن الآيات التي نلمح فيها المواساة للنبي _صلى الله عليه وسلم_ **قوله تعالى: "فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ"4** "أي. أي شيء حصل لهم حال كونهم معرضين عن القرآن الذي هو مشتمل على التذكرة الكبرى والموعظة العظمى"[5] . في هذه الآية تشبيه تمثيليمنتزع من متعدد جاء به التعبير القرآني ليوضح للنبي _صلى الله عليه وسلم_ حال الكفار من الخارج والداخل فرسم الصور بريشة الفنان المبدع. "إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد، وتسجله في صلب الكون، وتتملاه النفوس، فتخجل وتستنكف أن تكون فيه،

---

[1] . الفرقان 44

[2] . ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل: **"تفسير القرءآن العظيم"** ج3\ 320

[3] . . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج4\ 78

[4] . المدثر:(49-51)

[5] . . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج5\ 333

ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعـراض والنفـار، مخافة هذا التصوير! تلك هيئتهم الخارجية. (حمر مستنفرة، فرت من قسورة)"[1]

وبعد أن يصور الله تعالى حال الكفار راسما لهم تلك الهيئة البـشعة " لا يـدعهم حتـى يرسم نفوسهم من الداخل وما يعتلج فيها من المشاعر: (بل يريد كل امرئ أن يـؤتى صـحفا منشرة) فهو الحسد للنبي _صلى الله عليه وسلم_ أن يختاره الله ويوحي إليه؛ والرغبة الملحة أن ينال كل منهم هذه المنزلة، وأن يؤتى صحفا تنشر على الناس وتعلن"[2] وهنـا تظهـر لمـسات الرحمة، والحنان من المولى عز وجل بنبيه الكريم، فقد اقتص له بتلك الكلمات من كـل كـافر، وأدخل الطمأنينة على قلبه.

ويبدو أن الصور التعبيرية التي كان الطير والحيوان جزءا منها أدت وظائف دينية أراد الله إبلاغها لعباده مختارا ألوانا مختلفة من أساليب التعبير البلاغي، فهو كتاب بليغ أنزل في أمة كانت البلاغة والفصاحة تجري في عروقهم، لهذا أدى رسائله بطرق تناسبت مع طبيعـة أبنـاء اللغة، وحقيقة الرسالة الدينية.

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6: 3762.

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج6: (3762 - 3763).

علاقة فنية

لقد تعرفنا إلى صور عديدة للحيوان والطير في آي القرآن، فوجدنا الإبداع الفني الـــذي رسم فيه الأسلوب القرآني هذه الصور، والطريقة التي عرضت فيها تلك الصور للمتلقي. حيـــث "تتمثل أهمية الصورة الفنية ... في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به. إنها لا تشغ الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه، وتفجؤنا بطريقتها في تقديمـــه. هنـــاك معنى مجرد، اكتم في غيبة من الصورة، ثم تأتي الصورة فتحتوي ذلك المعنى أو تدل عليـــه، فتحدث فيه تأثيرا متميزا، وخصوصية لافتة؛ ذلك أنها لا تعرضه كما هو فـــي عزلـــة واكتفـــاء ذاتيين، وإنما تعرضه بواسطة سلسة من الإشارات إلى عناصر أخرى، متميزة عن ذلك المعنى، لكنها يمكن أن ترتبط به على نحو من الأنحاء. وبهذه الطريقة تفرض الصورة على المتلقي نوعا من الانتباه واليقظة."[1]

حتى تفرض الصورة على المتلقي نوعا من الانتباه واليقظة، وتفاجئه بطريقـــة تقـــديمها للمعنى، لا بد من وجود علاقة بين الصورة والمضمون، وذلك لتخرج الصورة بثوبها المكتمل. وفي ضوء تتبعنا لصور الحيوان والطير في القرآن، وجدنا أن علاقة الـــصور بدلالـــة الآيـــات ومضمونها تتبع في معظم الأحيان من علاقة فنية. حيث استخدم التعبيـــر القرآنـــي الأســـاليب البلاغية لإيصال الدلالة التي يهدف إليها، وقد انحصرت هذه الأساليب البلاغية فـــي التـــشبيه، والمجاز، والاستعارة، والكناية والاستفهام. و تتبع الأساليب البلاغية كاملة في الـــصور يـــساعد على إبراز العلاقة الفنية بشكل صحيح.

اولا - المجاز:

المجاز _كما نعلم_ هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة دالة علـــى عدم إرادة المعنى الحقيقي. . والعلاقةُ هي المناسبةُ بين المعنَى الحقيقيِّ والمعنى المجازيِّ قـــد

[1] . عصفور، جابر: **"الصورة الفنية في التراث الثقافي والبلاغي عند العرب"** ط3، المركز الثقـــافي العربـــي، بيـــروت، 1992م: (327-328)

تكونُ (المشابهةَ) بين المعنيينِ، وقد تكونُ غيرَها،فإذا كانتِ العلاقةُ (المشابهةَ) فالمجازُ (استعارةٌ)، وإلا فهو (مجازٌ مرسلٌ).[1] وقد قسمنا المجاز في صور الطير والحيوان إلى قسمين.

1. الاستعارة:

الاستعارة: هي استعمالُ اللفظُ في غير ما وضعَ له لعلاقةِ (المشابهةِ) بين المعنَى المنقولِ عنه والمعنِى المستعمَ فيهِ مع (قرينةٍ) صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليِّ .[2] (والاستعارةُ) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ. "أما الاستعارة فهي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعبه القلوب، وتدركه العقو وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان[3]".

من خلا بحثنا في الاستعارة الواردة في صور الطير والحيوان في القرآن وجدنا أن الاستعارة قد حازت على نصيب كبير من هذه الصور، فقد استعيرت ألفاظ الحيوان والطير للإنسان والجماد والمشاهد الكونية المختلفة. ويمكن دراسة الاستعارة في هذه الصور على النحو الآتي:

استعارة لفظ الحيوان للإنسان:

فمن الأمثلة على هذا النوع من الاستعارة **قوله تعالى"لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ"**4 . **وقوله تعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً "**[5] استعار التعبير القرآني هنا لفظ الجناح للإنسان وهو جزء من جسم الطائر. وجاءت الاستعارة هنا مناسبة لمضمون كلا الآيتين، فالآية الأولى تتحدث عن علاقة الرسول بالمؤمنين والآية الثانية تتحدث عن علاقة الأبناء بآبائهم، وهذه

---

[1] . القزويني، الخطيب: " **الإيضاح في علوم البلاغة"** شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت: ج2: (394 -395)

[2] . السابق: ج2: 407

[3] . الجرجاني، عبد القاهر: **"اسرار البلاغة في علم البيان"** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م: 15

[4] . سورة الحجر آية 88

[5] . سورة الإسراء آية 24

مواقف تحتاج إلى اللين واللطف في المعاملة. والجناح من الطائر موضع اليدين من الإنسان يستخدمهما للخير أو الشر. يدافع بهما عن نفسه، أو يضمّ بهما إلى صدره من أحبّ من الأشخاص، ليمنحه العطف والحنان. وتكمن الاستعارة في هاتين الآيتين في تشبيه إلانة الجانب بخفض الجناح بجامع العطف والرقة في الكل، واستعير اسم المشبه به للمشبه وهو من بليغ الاستعارات التصريحية. وقد استخدم القرآن الجناحين للدلالة على ما يلي اليدّ من الإنسان في **قوله تعالى: "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلى جَناحِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ"**[1].

وقد استعير لفظ الحيوان للإنسان في **قوله تعالى:" قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا"**[2]. استخدم التعبير القرآني في هذه الآية لفظ أحتنكن على لسان إبليس للدلالة على مدى انقياد أتباع إبليس له، فالحنك لفظ يستخدم للحيوانات. " حَنَكْتُ الفرس أحْنُكه وأحْنِكه حنْكَاً إذا جعلتُ فيه ... وقوله تعالى حاكيا عن إبليس { لأحتنكن ذريته } قال الفراء لأستولين عليهم"[3]. يكمن جمال الاستعارة هنا في تشبيه اتباع إبليس بالحيوانات، فقد استحقوا هذه الصورة لأنهم مشوا خلف إبليس كما تمشي الدابة خلف راعيها. والدابة أحسن حالا منهم فهي قد خلقت لتذلل. بينما هم فقد رزقوا عقولا تمنحهم مكانة رفيعة إذا استغلوها خير استغلال.

ومن الآيات التي اعتقد بعض الباحثين أن فيها استعارة **قوله تعالى: "فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ "**[4]. فقد جاء استخدام كلمة دابر في هذه الآية للدلالة على آخر القوم ." الدُّبُرُ والدُّبْرُ نقيض القُبُل ودُبُرُ كل شيء عَقِبُه ومُؤخَّرُه وجمعهما أَدْبارٌ ودُبُرُ كلِّ شيء خلاف قُبُلِه في كل شيء...ودابِرَةُ الحافر مُؤَخَّرُه وقيل هي التي تلي مُؤَخَّرَ الرُّسْغِ وجمعها الدوابر"5. لقد جاءت هذه الكلمة للدلالة على انقطاع نسلهم حتى آخر جزء فيه، وهذا من جمال

---

[1] . سورة طه آية 22

[2] . سورة الإسراء 62

[3] . الجوهري إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية"** تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر: مادة حنك: ج(4-5) : 1581

[4] . سورة الأنعام (45 - 46)

[5] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**"لسان العرب"** مادة دبر: مج4\ (268_269)

التصوير. يقول الشريف الرضي في هذه الآية: **"قوله تعالى: فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ** وهذه استعارة. لأن الأصل فى هذه اللفظة: دابرة الفرس ، وجمعها دوابر، وهى ما يلى حافره من خلفه. ودابرة الطائر: هي الشاخصة التي خلف رجله، وتدعى الصّيصيّة أيضا. فالمراد بقوله سبحانه: فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا واللّه أعلم: أي قطعت عنهم الأمداد اللاحقة بهم من خلفهم، والتالون لهم فى غيهم وضلالهم. أو قطع خلفهم. من نسلهم، فلم تثبت لهم ذرية، ولم يبق لهم بقية."[1] والصحيح هنا أن استخدام الدبر استخدام حقيقي. يقول الألوسي: "فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم كما قال غير واحد وهو من دبره إذا تبعه فكأنه في دبره أي خلفه ومنه"[2]

استعارة ألفاظ الحيوان للجماد.

وقد استعار التعبير القرآني ألفاظ الحيوان للجماد، وذلك لأهداف أرادها الله عز شأنه. قا تعالى في صفة الحجارة التي أرسلت على قوم لوط: **"مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ"3.** فقد وصف هذه الحجارة بأنها مسومة، وهذا يخصّ الحيوان، فالتسويم عبارة عن علامات استخدمها العرب لتمييز الحيوانات خاصة. ويمكن اعتبار هذه الاستعارة ملائمة؛ لأن اللفظ الذي استعير للحجارة (التسويم) جاء ملائما للموقف، فالحجارة هنا عملت كما تعمل الخيول في ساحة القتال. "وقوله سبحانه فى صفة الحجارة المرسلة على قوم لوط : مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ، وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ. وهذه استعارة؛ لأن حقيقة التسويم هي العلامات التي يعلّم بها الفرسان والأفراس فى الحرب ، للتمييز بين الشعارات ، والتفريق بين الجماعات. قال اللّه سبحانه: "يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ" وقرئ مُسَوِّمِينَ بفتح الواو. وقال اللّه سبحانه: "وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ" والمعنى أنه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حربا لهم وأعوانا عليهم وصفها بوصف رجال الحرب وخيولهم، فكأنها مرسلة من عند اللّه، أي من عند ملائكة اللّه الذين تولّوا الرمي بها إرسال الخيول المسوّمة على أعدائها، وإن لم يكن هناك تسويم على

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 61.

[2] . الألوسي، محمود أبو الفضل: **" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"** 7\ 152

[3] . سورة هود (83 - 84)

الحقيقة."[1] وقد تكرر استخدام هذه الاستعارة فى صفة الحجارة التي قذف فيها قوم لوط في **قوله سبحانه: "مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ"**2 **.**

وقد استعار التعبير القرآني لفظ ذلول للأرض في **قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا"3.** وهذه خاصية من خصائص الحيوانات. قال تعالى في وصف الأنعام: **"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ"**[4]**.** و"ذلت الدابة ذلا وهي ذَلُولٌ ليست بصعبة "5 . وهذا اللفظ توصف به الحيوانات الأليفة؛ لأنها تذلل، فتصبح مطواعة تنقاد بكل سهولة ويسر، وقد استعير للأرض لأن الله جعلها سهلة مطواعة يستغلها الإنسان بيسر. يقول القرطبي في معنى الآية السابقة: "أي سهلة تستقرون عليها والذلول: المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد. أي لم يجعل الأرض بحيث يمتنع عليكم المشي فيها بالحزونة والغلظة[6] . "وهذه استعارة. لأن الذّلول من صفة الحيوان المركوب. يقال: بعير ذلول. وفرس ذلول. إذا أمكن من ظهره، وتصرّف على مراده راكبه.وضدّ ذلك وصفهم للمركوب المانع ظهره، والممتنع على راكبه بالصّعب والمصعب. والمعنى: أنه سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول، ممكنة من الاستقرار عليها والتصرّف فيها، طائعة غير مانعة، ومذعنة غير مدافعة"7 .

وقد تكرر وصف الأرض أنها ذلول في **قوله تعالى: "ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"**8. جاء التعبير القرآني في هذه الاية بكلمة ذلول لوصف سبل النحل التي هيأها لها**.**

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 108

[2] . الذاريات آية 34

[3] . سورة الملك آية 15

[4] . سورة يس (71-72)

[5] . الزبيدي، محمد مرتضى: **"تاج العروس"** دار ليبيا، بنغازي: مادة ذلل : مج7\ 330

[6] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**: ج18\ (214-115)

[7] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: (324-325)

[8] . سورة النحل آية 69

يقول الشريف الرضي: "والذّلل: جمع ذلو وهي الطرق الموطّأة للقدم، السهلة على الحافر والمنسم، تشبيها لها بالإبل الذلل، وهي التي قد عوّدت الترحل، وألفت المسير..."[1]

ويندرج تحت هذا النوع من الاستعارة **قوله تعالى: "وَإِنَّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً"**2. حيث استعار القرآن الكريم لفظ جرز للأرض، وهذا لفظ يستخدم للناقة كثيرة الأكل وقد جاءت الاستعارة للدلالة على أن الأرض ابتلعت ما عليها كما تبتلع الناقة الجزور كل ما يقدم لها. "وهذه استعارة.لأن المراد بالجرز هاهنا الأرض التي لا نبات فيها، وذلك مأخوذ من قولهم: ناقة جروز. إذا كانت كثيرة الأكل، لا يكاد لحياها يسكنان من قضم الأعلاف،ونشط الأعشاب. ومن ذلك قولهم: سيف جراز. إذا كان يبرى المفاصل ويقط الضرائب. وإنما سمّيت تلك الأرض جرزا إذ كانت كأنّها تأكل نبتها، فلا تدع منه نابغة، ولا تترك طالعة. ونظير ذلك قولهم: أرض جدّاء: لا ماء فيها. تشبيها بالناقة التي لا لبن فيها، وهى الجدّاء"[3]."جَرَزَ يَجْرُزُ جَرْزاً أَكل أَكلاً وَحِيًّا والجَرُوزُ الأَكُولُ وقيل السريع الأَكل... وكذلك هو من الإِبل والأُنثى جَرُوزٌ أَيضاً وقد جَرُزَ جَرَازَةً ويقال امرأَة جَرُوزٌ إِذا كانت أَكولاً"4. يكمن حسن الاستعارة في هذه الآية في اختيار اللفظ المتناسق مع صرامة المشهد. "وفي التعبير صرامة، وفي المشهد الذي يرسمه. وكلمة جرزا تصور معنى الجدب بجرسها اللفظي."[5]

ونقيض الاستعارة السابقة الاستعارة في قوله سبحانه :**"وَتَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً، فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"**6 . في هذه الآية استعير للأرض لفظ يدل على الحياة بعد الموت، والخصوبة بعد الجدب. فقد شبهت الأرض عند حصولها على الماء واكتسائها بالنبات بمخلوق عادت إليه الحياة بعد الموت. "وهذه استعارة. لأن المراد هاهنا باهتزاز الأرض -واللّه أعلم- تشبيهها بالحيوان الذي همد بعد حراكه، وخشع بعد تطالّه

---

[1] . الرضي، الشريف:**"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 143.

[2] . سورة الكهف آية 8

[3] . الرضي، الشريف:**"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 158.

[4] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**"لسان العرب"** مادة جرز: مج5\ 316

[5] . قطب، سيد:**"في ظلال القرآن"** ج4: 2260

[6] . سورة الحج آية 5

وإشرافه، لعلّة طرأت عليه، فأصارته إلى ذلك ثم أفاق من تلك الغمرة، وصحا من تلك السّكرة، فتحرك بعد هموده واستهب بعد ركوده. وكذلك حال الأرض إذا أماتها الجدب ، وأهمدها المحل ثم حالها إذا نضحها الغيث بسجاله وبلّها القطر ببلاله..."[1]

استعارة ألفاظ الحيوان والطير لأمور معنوية:

لقد استعار القرآن الكريم ألفاظ الحيوانات والطيور لأمور معنوية كالذل في **قوله تعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"**[2]. فقد شبَّه الذلَّ بالطائرِ وحذف المشبَّه به ولكنْ رمزَ إليه بشيءٍ من لوازمهِ وهو الجناح. وهذا من الاستعارة المكنية. وعدّها القدماء من الاستعارة المليحة.[3] يقول عبد الفتاح لاشين: " أما في قوله تعالى: " **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ** " فإنه من الاستعارة الحسنة الصائبة ذلك أن الطائر إذ ونى أو تعب بسط جناحيه وخفضهما وألقى نفسه على الأرض، للإنسان جناح وهو يده، فإذا خضع واستكان طأطأ رأسه وخفض يده، فحسن لذلك جعل الجناح للذل، إذ الذل يصور الإنسان بصورة انخفاض وهوانٍ، فيسهل تشبيهه بطائر"[4].

ومن هذه الاستعارة قوله تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً..."[5]. فقد استعير لمتعبدات الله لفظ الشعيرة، "والشَّعِيرة البدنة المُهْداةُ سميت بذلك لأَنه يؤثر فيها بالعلامات، والجمع شعائر وشِعارُ الحج مناسكه وعلاماته وآثاره وأَعماله جمع شَعيرَة"[6]. قال تعالى: "وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[7].

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** : 190

[2] . سورة الإسراء 24

[3] . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: **"إعجاز القرآن"** تحقيق: السيد أحمد صقر، ط5، دار المعارف: (71-72)

[4] . لاشين، عبد الفتاح: **"البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم"**، دار الفكر العربي، 2002م: 235.

[5] . سورة المائدة 2

[6] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مادة شعر: مج4\ 414

[7] . سورة الحج آية 36

وقد اختار التعبير القرآني هذا اللفظ لإظهار أهمية الحفاظ على متعبدات الله التي بينها لهم، فهي كالهدي التي أشعرت لتميّز عن غيرها من الهدي، فيعلم أنها هدي لبيت الله وأداء العبادات والالتزام بها أمر لا يعلم مدى صدقه إلا الله. يقول الشريف الرضي:"هذه استعارة ، والمراد مستبعدات اللّه التي أشعرها للناس، أي بينها لهم. من قولهم: أشعرت البدنة، إذا جرحتها فى سنامها ليسيل دمها، فيعلم أنها هدى لبيت اللّه سبحانه: وهذا الفعل علامة لها، ودلالة عليها."[1] يقول صاحب اللسان: "قال الزجاج في شعائر الله يعني بها جميع متعبدات الله التي أَشْعرها الله أَي جعلها أَعلاماً لنا وهي كل ما كان من موقف أَو مسعى أَو ذبح وإِنما قيل شعائر لكل علم مما تعبد به لأَن قولهم شَعَرْتُ به علمته فلهذا سميت الأَعلام التي هي متعبدات الله تعالى شعائر"[2].

استعارة ألفاظ الحيوان لظواهر كونية.

في الكون مظاهر وآيات خلقها الله _عز وجل_ وسخرها لعباده كالرياح والأمطار، والليل والنهار وغيرها. وقد استعار القرآن الكريم ألفاظ الحيوان لهذه الظواهر في أكثر من موضع. **قال تعالى: "وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ"**3. فقد شبه الليل بحيوان، فحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية. فالسلخ -عادة- يطلق على عملية انتزاع الجلد من الشاة. "سَلَخَ الشاة يسلخُها ويسلَخَها سلخاً كَشَطَ جلدها... وسلخت الحَيَّةُ أي انْسَرَتْ أي انكشفت عن سَلْخَتِها... والسَّلْخُ مصدرٌ وآخِرُ الشَّهْرِ واسمُ ما سُلِخَ عن الشاةِ."4. في الآية إشارة إلى كون الليل والنهار جسما واحدا، لذلك صور التعبير القرآني عملية ظهور النهار بعد الليل بانسلاخ الجلد من الشاة، "وهذه استعارة. والمراد نخرج منه النهار، ونستقصي تخليص أجزائه، حتى لا يبقى من ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل، فإذا الناس قد دخلوا فى الظلام. وهذا معنى قوله تعالى: فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ."5. وهذا النعبير فيه توضيح لعملية تعاقب الليل والنهار.

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 54.

[2] . ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مادة شعر: مج4\ (414 -415)

[3] . سورة يس آية 37

[4] . البستاني بطرس: **"محيط المحيط"** مكتبة لبنان، بيروت، 1977م: مادة سلخ: 420

[5] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: (253 -254)

ويندرج تحت هذه الاستعارة **قوله تعالى: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"**[1]. استعار التعبير القرآني في هذه الآية للرياح لفظ لواقح، وهي جمع لاقح. أي تحمل الجنين في بطنها. وقد أكسبها التصوير الحياة؛ لبيان مدى تقدير الله في خلقه، فالكون كلّ متكامل تجري فيه الأمور ضمن دورة دقيقة، لا يمكن أن تغير نظامه إلا بمشيئة الله تعالى. وقد استعار الله هذا اللفظ للرياح لأنها تلقح السحاب وتداخل بينه، كما أنها تحمل بذور اللقاح للأشجار والنبات. يقول الشوكاني:" وناقة لاقح: إذا حملت الجنين في بطنها وبه قال الفراء وابن قتيبة وقيل لواقح بمعنى ملقحة قال ابن الأنباري : تقول العرب : أبقل النبت فهو باقل: أي مبقل والمعنى: أنها تلقح الشجر: أي بقوتها وقيل معنى لواقح: ذوات لقح"[2].

كما استعيرت ألفاظ الحيوان أيضا في **قوله تعالى: "ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ"**[3]. فقد شبه السنوات المجدبة بالبقرات الشداد، فحذف المشبه به أبقى ما يدل عليه وهو أكل ما يقدم لهن، وهذا من الاستعارة المكنية. وجاء التشبيه هنا ملائم للحال، فلا يليق بسنين مجدبة غير هذا التشبيه، وهذا من روائع التصوير القرآني. **"(وقوله سبحانه: ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ).** وهذه استعارة. والمراد بالسّبع الشداد: السّنون المجدبة. ومعنى يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ، أي ينفد فيهن ما ادخرتموه لهن من السنين المخصبة."[4]

استعارة ألفاظ الحيوان والطير لمشاهد يوم القيامة.

جاء التعبير القرآني بألفاظ الحيوانات والطيور في الصور التي تحدث بها عن بعض مشاهد يوم القيامة. **قال تعالى: "وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً"**[5]. تكمن جودة الاستعارة في هذه الآية بحسن التصوير، فاختيار كلمة مستطيرا لوصف شرّ يوم القيامة يظهر مدى الهيجان

---

[1] . الحجر آية 22

[2] . . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** : ج3\181

[3] . سورة يوسف آية 48

[4] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 116.

[5] . سورة الإنسان آية 7

والاضطراب في هذا اليوم، فكأن شرّ هذا اليوم طائر متخبط في طيرانه، تعصف به الريح هنا وهناك، فيعم تأثيره على الجميع. يقول الشريف الرضي: "وهذه استعارة. وحقيقة الاستطارة من صفات ذوات الأجنحة. يقال: طار الطّائر، واستطرته أنا إذا بعثته على الطيران. ويقولون أيضا من ذلك على طريق المجاز : استطار لهيب النار. إذا انتشر وعلا ، وظهر وفشا. فكأنه سبحانه قال: يخافون يوما كان شرّه فاشيا ظاهرا ، وعاليا منتشرا."[1]. يقول الشوكاني: "(ويخافون يوما كان شره مستطيرا) المراد يوم القيامة ومعنى استطارة شره فشوه وانتشاره يقال استطار يستطير استطارة فهو مستطير وهو استفعل من الطيران"[2].

ومن هذه الاستعارة **قوله تعالى: "إِذا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً"**[3]**.** في هذه الآية يتجلى أمامنا مشهد يصور فيه التعبير القرآني نار جهنم بصورة حيوان يرى ويتضجر، هذا تصوير يوضح مدى تشوّق النار لضمّ الكافرين، كأنها تنتظر الفرصة التي تستطيع فيها الانقضاض على الكفار كما ينقض الحيوان على فريسته وهذا أمرّ طبيعي، فهي تطيع أوامر خالقها. وفي الآية غلو وإفراط في الصفة.4 وهذا يعني أن الاستعارة فيهما استعارة مكنية. فقد بولغ في وصف النار، وتصويرها من خلال استخدام ألفاظ تخص الحيوان، فالمشهد مروّع حيث السعير المستعر، والأصوات المرعبة. فلم يكتف التعبير القرآني بوصف النار وصفا خارجيا بـ بالغ في الوصف حتى منحها الحياة التي تجعلها قادرة على إرهاب أصحابها، ودب الرعب في قلوبهم. "ونحن هنا أمام مشهد السعير المتسعرة وقد دبت فيها الحياة فإذا هي تنظر فترى أولئك المكذبين بالساعة..."[5]

---

[1] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"**: 344.

[2] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** : ج5\347

[3] . سورة الفرقان آية 12

[4] . الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: **"إعجاز القرآن"** : 78

[5] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2554

استعارة خصائص غير الحيوان للحيوان:

استعار التعبير القرآني للحيوان خصائص غير الحيوان. قال تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[1]. في هذه الآية تصوير عجيب. رسم القرآن فيه الصورة بريشة أخّاذة أخرجت لوحة دقيقة رامزة. فها هو القرآن يشبه العجل الذي اختاره بنو اسرائيل من دون الله، بشراب أَشْرِبَتْهُ قلوبهم والعجل هنا _والله تعالى أعلم_ هو حبهم لهذه الآلهة لأن القلوب مسكن الحب والمشاعر. وقد حذف التعبير القرآني المشبه وصرّح بالمشبه به(العجل) على سبيل الاستعارة التصريحية. جاء في تفسير الطبري: " قال أبو جعفر: وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه : { وأشربوا في قلوبهم العجل } تأويل من قال: وأشربوا في قلوبهم حب العجل لأن الماء لا يقال منه: أشرب فلان في قلبه وإنما يقال ذلك في حب الشيء فيقال منه: أشرب قلب فلان حب كذا بمعنى: سقي ذلك حتى غلب عليه وخالط قلبه"[2]. وقد نقل التصوير هذا الحب إلى القلب بفعل فاعل وذلك لإظهار مدى سيطرة هذا الحبّ _الذي أُشربته قلوبهم_ على نفوسهم، وقد نقل هذا التصوير _بجماله_ إلى القارئ مدى الضلال الذي سيطر على هذه النفوس المريضة. يقول القرطبي: " قوله تعالى : { وأشربوا في قلوبهم العجل } أي حب العجل والمعنى : جعلت قلوبهم تشربه وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم"3. جاء في معالم التنزيل : " وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم } أي حب العجل أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها كإشراب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة"4.

---

[1] . البقرة 93

[2] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج1: 423

[3] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن"** ج2\ 31

[4] . البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **"معالم التنزيل"** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م: ج1\ 60

2. المجاز المرسل:

عند الحديث عن المجاز في صور الحيوانات والطيور، لا بد أن نشير إلى أن المجاز الذي نقصده هنا هو المجاز المرسل، فقد ورد هذا النوع من المجاز في صور الحيوانات. **قال تعالى:"وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ"**[1]. أطلق التعبير القرآني لفظ ضامر على الركوبة التي يصل عليها الحجاج إلى بيت الله الحرام والمجاز هنا علاقته اعتبار ما سيكون، فالبعير أو أي ركوبة تسير مسافة طويلة لا بد أن يصيبها الضمور."الضُّمْرُ من الهُزالِ (ولُحُوق البطْن)"[2]. جاء في تفسير القرطبي: "والضامر: البعير المهزول الذي أتعبه السفر يقال: ضمر يضمر ضمورا فوصفها الله تعالى بالمآ الذي انتهت عليه إلى مكة وذكر سبب الضمور فقال: { يأتين من كل فج عميق } أي أثر فيها طول السفر ورد الضمير إلى الإبل تكرمة لها لقصدها الحج مع أربابها كما قال: { والعاديات ضبحا }: في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله"[3]. جاء في تفسير البيضاوي: "(وعلى كل ضامر) أي وركبانا على ك بعير مهزو أتعبه بُعد السفر فَهَزَّله { يأتين } صفة لـ (ضامر) محمولة على معناه وقرئ (يأتون) صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير لـ (الناس)"[4]. ويمكن أن يكون الضامر وصفا للناقة على سبيل الحقيقة، وذلك تميزا لها. أي يأتون على ناقة مميزة بضمورها.

وقد يندرج تحت المجاز **قوله تعالى:"فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ"**[5]. فالمقصود هنا بقول المنادي: (أيتها العير) هم أصحاب العير فقد أطلق النداء هنا للعير قاصدا أصحابها. أي يا أصحاب العير إنكم سارقون. والنداء هنا جاء للفت الأنظار، فهو مناسب لهذا الحدث العظيم؛ حيث السرقة تخص الملك والمنادَون هم

---

[1] . سورة الحج آية 27

[2] . الفراهيدي، عبد الرحمن بن الخليل بن أحمد: "**العين**" ، دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان: مادة: ضمر :553

[3] . القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن**" ج12\ 39

[4] . البيضاوي، ناصرالدين أبي سعيد: "**أنوار التنزيل في أسرار التأويل**" ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت: ج4: 53

[5] . يوسف آية 70

أبناء يعقوب _عليه السلام_. يقول سيد قطب: "ثم ينادي مناد بصوت مرتفع في صيغة إعلان عام وهم منصرفون أيتها العير إنكم لسارقون ويرتاع إخوة يوسف لهذا النداء الذي يتهمهم بالسرقة وهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فيعودون أدراجهم يتبينون الأمر المريب **(قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون)**[1] قال الغلمان الذين يتولون تجهيز الرحال أو الحراس ومنهم هذا الذي أذاع بالإعلان **(قالوا: نفقد صواع الملك)**[2،3]

ونلاحظ أن استخدام القرآن للمجاز جاء في مواضع محددة، فلم يكن المجاز في صور الحيوانات والطيور كثيرا كالاستعارة، لكنه جاء مناسبا لمضمون الآيات متمشيا مع أهداف القرآن الكريم.

ثانيا -التشبيه:

كان التشبيهَ أولُ الأساليب البلاغية التي استخدمها العربي وأكثرها، فقد دلت الطبيعةُ المبدعَ على هذا الأسلوب، فالآفاق مفتوحة أمامه. يستطيع من خلالها قياس شيءٍ معروفٍ عنده على آخر قريب منه. وقد ورد التشبيه في القرآن الكريم كثيراً، حيث ساقه القرآن ضمن صور فنية تضمنت أهدافاً ورسائل أراد الله إيصالها إلى عباده. ويمكن دراسة التشبيه في صور الحيوانات والطيور ضمن نوعين من التشبيه.

1. التشبيه المفرد:

إن من روائع التشبيهات القرآنية المفردة تلك التشبيهات التي وظف فيها التعبير القرآني الطيور والحيوانات. فإذا ما نظرنا إلى **قوله تعالى: "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ"**4 نجد دقة التشبيه تتمثل أمام عيوننا، فاختيار كلمة الفراش في هذه الآية يعبّر عن روعة الأسلوب القرآني في رسم الصور الفنية، والتشبيه مرسل مجمل ذكرت فيه الأداة، وحذف وجه الشبه أي (في الكثرة والانتشار والضعف والذل). "تأمل هذه الكلمة (الفراش) إنها تصور لك بظلها

---

[1] . سورة يوسف آية 71

[2] . سورة يوسف آية 72

[3] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2019

[4] . القارعة آية 4

وجرسها، وإيحائها الناس في هذا اليوم في منتهى الضعف والضالة، وهم مستخفون من هول هذا اليوم. وتأمل الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثاً أن هذا الوصف يصور لك كثرة الناس في هذا اليوم وتهافتهم. ثم حدثني بربك هل في مفردات اللغة كلمة تصور هذا المشهد سوى هذه الكلمة القرآنية؟ وهل هناك أعجب من هذه الدقة في وصف الفراش بكونه مبثوثاً؟"[1]. وتبرز دقة الأسلوب القرآني أكثر إذا نظرنا إلى التشبيه في **قوله تعالى: "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ"**[2] . فالناس في الآية الأولى شبهوا بالفراش. "والفراش هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه. فإذا أوقد لها نار، تهافتت إليها، لضعف إدراكها. فهذه حال الناس أهل العقول."[3] أما في الآية الثانية فقد شبهوا بالجراد، وذلك لأن حركتهم تكون منتظمة وهم يسيرون باتجاه الداعي. بينما هم من شدة الفزع أثناء خروجهم من الأجداث كالفراش.

ويندرج تحت التشبيه المفرد **قوله تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"**[4]. فقد قدم الله أوصاف من ذرأ لجهنم من الجن والإنس في قوله:" لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ" و عقب على ذلك بتشبيههم بالأنعام، ثم أضرب عن التشبيه بقوله: (بل هم أضل سبيلا). "هؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى فسلبوا خاصية العقل. (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) من البهائم فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان تدرك بها مضرتها من منفعتها فلذلك كانت أحسن حالا منهم. (وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الذين غفلوا عن أنفع الأشياء. غفلوا عن الإيمان باللّه وطاعته وذكره. خلقت لهم الأفئدة

---

[1] . الشحود، علي بن نايف: **"الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم"** ، مكتبة المشكاة: ص 1142

[2] . القمر (6-7)

[3] . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"** دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م: ج1\ 423

[4] .سورة الأعراف 179

والأسماع والأبصار لتكون عونا لهم على القيام بأوامر اللّه وحقوقه فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود."[1]

ويتكرر تشبيه الإنسان بالحيوان في **قوله تعالى: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً"[2]**. ينبع جمال التشبيه المفرد في هذه الصورة من اختيار لفظ الأنعام في الحديث عن الذين رموا سيدنا محمداً بالضلال. فقد" سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول والأسماع وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة التي لا تسمع إلا دعاء ونداء_ صم بكم عمي_ فهم لا يعقلون بل هم أضل من الأنعام فإن الأنعام يهديها راعيها فتهتدي وتعرف طريق هلاكها فتجتنبه وهي أيضا أسلم عاقبة من هؤلاء. فتبين بهذا أن الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا الوصف وأن كل حيوان بهيم فهو أهدى منه."[3]

أما اختيار لفظ الأنعام في **قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ"**4 ففيه من البلاغة ما يسلب الألباب. فإذا تأملنا الآية الكريمة التي بدأت في الحديث عن مصير المؤمنين وانتهت في ذمّ الكافرين، وبيان مصيرهم نرى أمامنا مشهدا تدرج فيه التعبير القرآني من المصير الجميل _الذي يتمناه كل عاقل_ إلى المصير القبيح. وكأن القرآن الكريم يترك لنا فرصة المقارنة؛ حتى نتجنب مصير أولئك الكافرين، ونسير على خطى المؤمنين.

2. التشبيه المركب:

اشتملت صور الحيوانات والطيور على تشبيهات مركبة، يمكننا اعتبارها أمثلة على التشبيهات الجميلة في القرآن . **قال تعالى:" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آَتَيْنَاهُ آَيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ**

---

[1] . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"**: ج1\ (169 -170)

[2] . الفرقان آية 44

[3] . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"** ج3\ 402

[4] . سورة محمد آية 12

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[1]. أمامنا في هذه الآية تشبيه مركب يرسم فيه القرآن لمن ينسلخ عن آيات الله صورة رادعة، فهاهو المقصود بالذم هنا يبلغ مبلغا من الخسة والدناءة. يكفيه ذما أن ينزل إلى مستوى الكلاب. يقول الشوكاني: "قوله : { فمثله كمثل الكلب } أي فصار لما انسلخ عن الآيات ولم يعمل بها منحطا إلى أسفل رتبة مشابها لأخس الحيوانات في الدناءة مماثلا له في أقبح أوصافه وهو أنه يلهث في كلا حالتي قصد الإنسان له وتركه فهو لاهث سواء زجر أو تُرك طرد أو لم يطرد شد عليه أو لم يشد عليه وليس بعد هذا في الخسة والدناءة شيء"[2]

وفي الصور السابقة يتناسب التشبيه مع دلالة الآية ومضمونها، فقد تحدثت الآية عن رجل آتاه الله علما عظيما، فانسلخ من هذا العلم كما تنسلخ الآفعى من جلدها، وهو هنا يستحق هذه الصورة. ألا وهي صورة الكلب. وقد استحقها لأنه اختار البعد عن آيات الله بإرادته. قال تعالى: "واتبع هواه". أي هو الذي اختار طريقه متبعا هواه.

ويندرج تحت التشبيه المركب **قوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"[3].** فقد شبه التعبير القرآني من اتخذوا غير الله أولياء بالعنكبوت، وهي من الحشرات الضعيفة، ثم شبه أولياءهم ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت. وهذا مثل مناسب لهؤلاء فهم لا يختلفون عن العنكبوت الضعيفة التي تلتجئ إلى ما هو أضعف منها (بيتها). وفي هذا التشبيه تبرز حقيقة الكافرين وأوليائهم. يقول الطبري: "مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم وقبح روايتهم وسوء اختيارهم لأنفسهم كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتا لنفسها كيما يكنها فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله وحـ بهم سخطه

---

[1] . الأعراف آية (175-176)

[2] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج2\ 265

[3] . العنكبوت 41

أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئا ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم"[1]

والصورة في هذه الآية تثبت لكل معاند ومتكبر حقيقة القوة. إن "قوة الله وحدها هي القوة وولاية الله وحدها هي الولاية وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل إنها العنكبوت وما تملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون"[2]. ووجه الشبه في هذا التشبيه منتزع من متعدد.

ولا شك أن لجوء هؤلاء القوم إلى غير الله خسران مبين، لا يعوّضون من بعده إلا بالخسة والذّل، وهذا نتيجة غفلتهم، وبعدهم عن النور، وركونهم إلى الضلال، "فهؤلاء الذين عبدوا غير الله، واتخذوا من دون الله أولياء وجماة ينصرونهم، ويدافعون عنهم، إنما يلجأون إلى أوهن بيت، وأوهى ملجأ، وأضعف نصير!! بل إن الآية لتشير إلى ما هو أدق من ذلك في باب الإيضاح والتصوير، إنها لتشير إلى أن هذا الركن الذي يأوي إليه هؤلاء إنما هو من صنع أيديهم وأحلامهم. أما هو فلا يملك في حقيقة الأمر لنفسه _فضلا عن غيره_ ضرا ولا نفعا..."[3]

وحقيقة الكافرين لا تتغير فإذا كانوا باتخاذهم أولياء من دون الله كالعنكبوت، فهم بصدهم عن دعوة الله وتقليدهم لآبائهم وأجدادهم كالبهائم. **قال تعالى "وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ "**[4]. يقول سيد قطب: "يرسم لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا تعني بل هم أضل من هذه البهيمة فالبهمية ترى وتسمع وتصيح وهم صم بكم عمي"[5].

---

[1] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج11\ 152

[2] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2737

[3] . زرزور، عدنان محمد: **"علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه"**: 318

[4] . سورة البقرة 171

[5] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 155

في الآية تشبيه مركب، فالآية تتحدث عن حال الرسول _صلى الله عليه وسلم_ مع الكفار أثناء الدعوة إلى دين الله. فهو كالراعي الذي يصيح في البهيمة فلا تفقه ما يقول. أما الكفار فهم كالبهيمة صمّ بكم عميّ. لا يستخدمون حواسهم بما ينفعهم بـ يحجمون عن الحق بأيديهم، فيتظاهرون بالصمم، وهم أسمع من فرس[1] "أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ولا تفقه ما يقول ولهذا قال في هؤلاء {بل هم أضل } أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها إذا أنس بها وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء ولأنها تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة في معاده ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه"[2].

ولا يختلف حال المشركين بالله عن أولئك الكافرين. فقد جاء التعبير القرآني بصورة مليئة بالحركة والحياة، فعرضها بمشهد قصير سريع يرسم أمامنا نهاية مؤلمة لكل مشرك. **قال تعالى: "حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ"**3. "فإنه من يشرك بالله شيئا من دونه فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه مثل من خر من السماء فتخطفه الطير فهلك أو هوت به الريح وسحقته"4.

والتشبيه في الآية السابقة مركب يتمثل الجزء الأول منه بتشبيه الإيمان بالسماء والإشراك بالحضيض. وأما الجزء الثاني فيتمثل بتشبيه المشرك بالذي خرّ من السماء فتخطَّفَته الطير أو هوت به الريح من مكان سحيق. وهذا التشبيه فيه بيان لقيمة الإيمان ونهاية الشرك بالله. فقد جاء "لإظهار كمال قبح الإشراك وقد شبه الإيمان بالسماء لعلوه والإشراك بالسقوط منها

---

[1] . العسكري، أبو هلال : "**جمهرة الأمثال**" ط2، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، 1988: 1\509.

[2] . راجع ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل: **"تفسير القرآن العظيم"** : ج2\ 268

[3] . الحج آية 31

[4] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج10\ 155

فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر"[1]. والتشبيه هنا يلخص حياة كل مشرك يختار مع الله إلها آخر، فلا يجني المشرك من شركه سوى الخسران والخسة، وهو بذلك يستحق الهاوية.

ومن الصور التي اشتملت على تشبيه مركب تناسب مع مضمون الآية حتى أدى الغرض منها **قوله تعالى: "انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ"**[2]. فالآية تتحدث عن مصير المكذبين بأسلوب فيه سخرية لاذعة، حيث يأمر الله هؤلاء بالانطلاق، والانطلاق فيه حرية واستبشار وسرور "وناقة طالق: بلا خطام، وهي أيضا التي ترسل في الحي فترعى من جنابهم حيث شاءت لا تُعقَ إذا راحت ولا تُنَحّى في المسرح"[3] يقول سيد قطب: "اذهبوا طلقاء بعد الارتهان والاحتباس في يوم الفصل الطويل ولكن إلى أين إنه انطلاق خير منه الارتهان انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون فها هو ذا أمامكم حاضر مشهود انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب إنه ظل لدخان جهنم تمتد ألسنته في ثلاث شعب ولكنه ظل خير منه الوهج لا ظليل ولا يغني من اللهب إنه ظل خانق حار لافح وتسميته بالظل ليست إلا امتدادا للتهكم وتمنية بالظل تتكشف عن حر جهنم انطلقوا وإنكم لتعرفون إلى أين وتعرفونها هذه التي تنطلقون إليها فلا حاجة إلى ذكر اسمها إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر"[4]. لقد بدأ التعبير القرآني بالتشبيه في هذه الآية مباشرة دون أن يذكر اسم المشبه (جهنم) وصورها تصويرا دقيقا تلاءمت فيه الصورة مع الواقع، ذلك حتى يدرك المكذبون بآيات الله أن العذاب الذي وعد به أمثالهم حقيقة واقعة.

---

[1] . الألوسي، محمود أبو الفضل: **"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"** ج17\ 149

[2] . المرسلات آية (30-33)

[3] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مادة طلق: مج10\ 227

[4] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: (3793-3794)

والتشبيه المركب في الآية السابقة يتمثل في تشبيه الشرر الذي تلقي به جهنم بالقصر، ومن ثم تشبيه هذا القصر بالجمالة الصفر." شبه الشرر باعتبار لونه فقال :(كأنه جمالة صفر) وهي جمع جمال وهي الإبل..."[1]

ويندرج تحت هذا التشبيه أيضا **قوله تعالى: " فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ"2**. يشبه الله في هذه الآية المعرضين عن الدعوة بالحمر التي تنفر من الأسد. ووجه الشبه فيه منتزع من متعدد، والتشبيه فيه تحقير لهؤلاء، فالحمر تهرب مما يضرها، كي تحمي نفسها من الخطر. بينما هم فإنهم يهربون مما ينفعهم إلى ما يضرّهم. فالحيوانات _إذن_ أفضل حالا منهم إذ أصبحت تمييز ما يضرها مما ينفعها. وهم ما زالوا غافلين. يرفضون التمييز بين الهدى والضلال. يقول سيد قطب: " هو مشهد عنيف الحركة مضحك أشد الضحك حين يشبه به الآدميون حين يخافون، فكيف إذا كانوا إنما ينفرون هذا النفار الذي يتحولون به من آدميين إلى حمر لا لأنهم خائفون مهددون، بل لأن مذكرا يذكرهم بربهم وبمصيرهم، ويمهد لهم الفرصة ليتقوا ذلك الموقف الزري المهين، وذلك المصير العصيب الأليم. إنها الريشة المبدعة ترسم هذا المشهد، وتسجله في صلب الكون، تتملاه النفوس، فتخجل، وتستنكف أن تكون فيه، ويروح النافرون المعرضون أنفسهم يتوارون من الخجل، ويطامنون من الإعراض والنفار مخافة هذا التصوير الحي العنيف"[3]

ثالثا -الكناية:

الكناية لغة: ما يتكلمُ به الإنسانُ، ويريد به غيره، وهي: مصدر كنيت، أو كنوت بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به . واصطلاحاً: لفظٌ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضعَ له، مع جواز إرادةِ المعنى الأصليِّ، لعدم وجود قرينةٍ مانعة من إرادته.[4] والكنايةُ من ألطف أساليبِ البلاغة وأدقِّها، وهي أبلغُ من الحقيقةِ والتصريحِ. "الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل

---

[1] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** :ج5\ 359

[2] . المدثر:(49-51)

[3] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 3762

[4] . القزويني، الخطيب: **" الإيضاح في علوم البلاغة"** ج2: 456

إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والّسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طيّها برهانها"[1]

ومن الكناية الواردة في صور الطير والحيوان **قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ، لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ"**[2].
فالمراد بقوله تعالى: (حتى يلج الجمل في سم الخياط) لا يصلون إلى الجنة ولا يتسهل لهم السبيل إليها فهم لا يستحقون بأعمالهم دخولها. "الولوج : الدخول في مضيق. قال تعالى: {حتى يلج الجمل في سم الخياط}"[3]. "أي أن هؤلاء الكفار المكذبين المستكبرين لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال ولهذا علقه بالمستحيل فقال: { حتى يلج الجمل في سم الخياط } وهو لا يلج أبدا وخص الجمل بالذكر لكونه يضرب به المثل في كبر الذات وخص سم الخياط وهو ثقب الإبرة بالذكر لكونه غاية في الضيق والجمل الذكر من الإبل"[4].

وقد جاء القرآن بهذا التعبير مبالغة في حدوث هذا الأمر. "ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما علم في ضيق الملك وهو يقبة الإبرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولج في سم الإبرة مبالغة في الاستبعاد"[5].

والحقيقية التي تعكسها لنا هذه الصورة الفنية هي مدى عِظم السور الذي بناه المكذبون بينهم وبين الجنة فقد استخدم التعبير القرآني صورة الجمل وهو قادم اتجاه ثقب الإبرة ليدخلها للكناية عن استحالة دخول هؤلاء المكذبين الجنة. يقول سيد قطب: "وقد فات الأوان أن يدخلوا إلى جنات النعيم. أما الآن وإلى أن يلج الجمل في سم الخياط فهم هنا في النار التي تداركوا فيها

---

[1] . الهاشمي، السيد أحمد: **"جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"** دار ابن خلدون، الإسكندرية 280

[2] . الأعراف آية 40

[3] . الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن"** تحقيق:محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان 532

[4] . الشوكاني، محمد بن علي**"فتح القدير"** :ج2\ 205

[5] . أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"** دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج3\ 227

جميعاً وتلاحقوا وتلاوموا فيها وتلاعنوا وطلب بعضهم لبعض سوء الجزاء ونالوا جميعاً ما طلبه الأولياء للأولياء وكذلك نجزي المجرمين ثم إليك هيئتهم في النار لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ فلهم من نار جهنم من تحتهم فراش يدعوه للسخرية مهاداً وما هو مهد ولا لين ولا مريح ولهم من نار جهنم أغطية تغشاهم من فوقهم وكذلك نجزي الظالمين"[1]

ومن الكناية أيضا قوله تعالى :"**يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** "2. انظروا إلى جمال التصوير ودقة التدرج في هذه الصورة. إنها صورة مركبة تَبرز لنا الكناية من ثنايا التمثيل فيها، فليس هناك تصوير يمكنه أن يعبر عن ضعف الآلهة من هذا، فمن خلاله يدرك العقل مدى الضعف الكامن في هذه الآلهة، فهي لا تستطيع خلق ذبابة حتى لو اجتمعت واتحدت. ولا يقف عجزها عند هذا الحد بل يصد إلى عدم قدرتها على استرجاع شيء استنفذته منها هذه الذبابة الضعيفة. فإذا كان عجزها عن الخلق ضعف، فإن استرجاعها لشيء استُنفذ منها قمة الضعف والهوان. يقو الزرقاني: "ضرب لهم أبلغ الأمثال حتى انتهى بهم إلى أن تلك الآلهة المزيفة لا تقدر أن تخلق مجتمعة أقل نوع من الذباب بل لا تستطيع أن تدفع عن نفسها شر عادية الذباب وقال يأيها الناس ضرب مثل فأستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو أجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب"3 والمقصودد بالطالب هنا الآلهة، والمطلوب ما استنفذ منها.

ومن الكناية المعبرة التي انتزعت من واقع المجتمع الجاهلي قوله تعالى: "**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** "4. فقد جاء التعبير بكلمة (طائر) وكلمة (يطيروا) كناية عن التشاؤم. فالكلمة

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 1291

[2] . الحج: 73-74

[3] . الزرقاني، محمد عبد العظيم: **"مناهل العرفان في علوم القرآن"** ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م: ج1\142

[4] . سورة الأعراف آية 131

هنا استخدمت لغير ما وضعت له. فنحن نعلم أن الطيور مخلوقات كغيرها من المخلوقات لا تملك لنفسها ضرّا ولا نفعا، لكنّ المجتمع الجاهلي كان يعول عليها في كثير من أموره، فإذا نوى شخص القيام بأمر ما أطلق طائرا فإذا اتجه يمينا تفاءل وإذا سار باتجاه اليسار تشاءم، وقد نهى الإسلام عن التطير جاء في صحيح البخاري: " أن أبا هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة... " [1]

وقد كرر القرآن الكريم لفظ التطير في قصص الأنبياء عليهم السلام، حتى تكون هذه القصص عبرة لمن يعتبر بها. **قال تعالى: "قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ "**2. لقد كان هذا جواب قوم ثمود لنبيهم صالح عليه السلام. يقول الشوكاني: "فكان جوابهم عليه بعد هذا الإرشاد الصحيح والكلام اللين أنهم { قالوا اطيرنا بك وبمن معك } أصله تطيرنا وقد قرئ بذلك والتطير التشاؤم: أي تشاءمنا بك وبمن معك ممن أجابك ودخل في دينك وذلك لأنه أصابهم قحط فتشاءموا بصالح وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأشقاهم بها..."[3]

لم يكن قوم سيدنا صالح أحسن حالا من أصحاب القرية إذا جاءهم المرسلون **بقولهم:"إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ"**[4]. الحوار في هذه الآية بين أهل القرية والمرسلين. فقد""كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس ابن أبطيحس يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة : صادق ومصدوق وسلوم فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما ثم عزز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم عليه قال لهم: { إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم..."[5]. ولما أجاب أهل القربة المرسلين بهذه الإجابة ردّوا عليهم بمثلها فقالوا: **"طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"**[6]. وكلام المرسلين دليل واضح على أن التطير مبعث من مباعث النفس البشرية واخترعته عقولهم الميتة. وقد ضرب الله هذا المثل في هذه الآية لأهل

---

[1] . البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: **"الجامع الصحيح المختصر"** تعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987م: ج5\ 2158

[2] . سورة النمل آية 47

[3] . الشوكاني، محمد بن علي**"فتح القدير"** :ج4\143

[4] . سورة يس آية 18

[5] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:**"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** : مج12\156

[6] . سورة يس آية 19

مكة حتى يعتبروا فلا يتصرفون كهؤلاء المشركين، فالتوكل على الله وحده، ولا يصح التوكل على غيره من المخلوقات الضعيفة التي لا تملك لنفسها حولا ولا قوة.

ومن الكناية في القرآن الكريم أيضا **قوله تعالى:"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ"**[1]. كنّى التعبير القرآني في هذه الآية عن النفس البشرية بالذئب. قصد سيدنا يعقوب بكلمة الذئب هنا نفوس أبنائه الأمارة بالسوء. "قال يعقوب هذا تخوف عليه منهم فكنى عن ذلك بالذئب وقيل إنه خاف أن يأكله الذئب حقيقة لأن ذلك المكان كان كثير الذئاب ولو خاف منهم عليه أن يقتلوه لأرسل معهم من يحفظه"2.

لعل الله جل شانه أوحى إلى سيدنا يعقوب اختراع قصة الذئب حتى يتحقق الهدف وتكتمل القصة التي أرادها سبحانه. فقد جاء في روح المعاني:" خرج أبو الشيخ وغيره عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لا تلقنوا الناس فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الناس فلما لقنهم أبوهم كذبوا فقالوا : أكله الذئب"3.

رابعا -الاستفهام:

من خلال تتبعنا لصور الطير والحيوان وجدنا أن هناك بعض الصور التي استخدم فيها القرآن الكريم الاستفهام، والمقصود بالاستفهام هنا هو الاستفهام المجازي، فقد يخرجُ الاستفهامِ عن معناه الأصليِّ _وهو طلبُ معرفة شيء مجهول_ فيستفهَمُ به عن الشيءِ مع العلمِ به؛ لأغراضٍ أخرى أهمُّها الأمرُ، والنهيُ، والتسويةُ، والنفيُ، والإنكارُ، والتشويقُ، والتقريرُ والتهويلُ، والاستبعادُ، والتعظيمُ، والتحقيرُ، والتعجّبُ، والتهكّمُ والوعيدُ، والاستبطاءُ والتحسّرُ.[4] والاستفهام الوارد في صور الطير والحيوان قليل لكنه جاء ضمن صور فنية تناسق فيها الاستفهام مع مضمون الآية.

---

[1] . يوسف آية 13

[2] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج3: 10

[3] . راجع "روح المعاني" ج12: 196

[4] . انظر القزويني، الخطيب: " **الإيضاح في علوم البلاغة":** ص(234 -243)

من الاستفهام المجازي في صور الحيوانات والطيور قوله تعالى: **"أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ"**[1]. الاستفهام في هذه الاية مجازي المقصود به تقرير الرؤية. "وهذا الاستفهام للتقرير، أي يرون هذه الرؤية. ويردف عليه من المعاني الثانية التعجب من كمال قدرة الله عز وجل"[2]. والرؤية المطلوبة هي رؤية اعتبار لا مجرد رؤية ولا شك أن الله أعلم بخلقه، فقد اختار الاستفهام في هذه الآية ليخاطب العقول، فهنا توجيه رباني لعباده؛ حتى يتدبروا خلق الله من خلال هذا المنظر، فيروا تلك المخلوقات التي أبدعها الله_عز وجل_ في عقولهم، ويشاهدوها بقلوبهم وهي تحلق عاليا في جوّ السماء، فيدركوا قدرتها الهائلة على الصعود والهبوط، والانحراف بكل سهولة ويسر، فهي بهذه الحركات تؤكد قدرة الخالق على الخلق والإبداع. أليس الذي وهبها هذه القدرة عظيم قدير؟ أوليس حقا علينا عبادته والإيمان به؟ لا شك أن خالق هذه الطيور عظيم قدير، وهو حقيق بالعبادة.

ومن الاستفهام المجازي الذي خرج فيه الاستفهام للتقرير **قوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"** [3]. "الاستفهام هنا للتقرير أصالة، ويضاف إليه التوقيف على آثار قدرة الله والتعجيب منها"[4]. وهو مساق للفت نظر الناس إلى آيات الله الدالة على وجوده، وعظيم قدرته. فلولا تقدير الله تعالى لما استطاعت هذه المخلوقات الطيران في جوّ السماء، والوقوف فيه. فمن حكمة الله وحسن تقديره أن هيّأ لها السماء. "ومشهد الطير مسخرات في جو السماء مشهد مكرور قد ذهبت الألفة بما فيه من عجب وما يتلفت القلب البشري عليه إلا حين يستيقظ ويلحظ الكون بعين الشاعر الموهوب وإن تحليقة طائر في جو السماء لتستجيش الحس الشاعر إلى القصيدة حين تلمسه فينتفض للمشهد القديم الجديد ما يمسكهن إلا الله بنواميسه التي أودعها فطرة الطير وفطرة الكون من حولها

---

[1] . سورة الملك آية 19

[2] . المعطني، عبد العظيم إبراهيم: **"التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم"** ، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة 1999م. ج4: 278

[3] . سورة النحل آية 79

[4] . المعطني، عبد العظيم إبراهيم: **"التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم"**ج2: 206

وجعل الطير قادرة على الطيران وجعل الجو من حولها مناسبا لهذا الطيران وأمسك بها الطير وهي في جو السماء"[1]

وبما أن مشهد الطيور في السماء دليل على قدرة الله وعظيم إبداعه، فقد أشار القرآن الكريم إليه في أكثر من آية منها بالإضافة إلى ما سبق من قوله تعالى: **"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ"**[2]. يقول الشوكاني: "الخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى { ألم تر } ألم تعلم والهمزة للتقرير: أي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة. والتسبيح التنزيه في ذاته وأفعاله وصفاته عن كل ما يليق به"3. الآية فيها توجيه من الخالق إلى عباده وهو توجيه مباشر لا يدرك غايته وحقيقته إلا أصحاب الألباب النيرة. يقول سيد قطب: "والقرآن يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله وإلى من حوله من خلق الله في السماوات والأرض وهم يسبحون بحمده وتقواه ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد في كل يوم يراه فلا يثير انتباهه ولا يحرك قلبه لطول ما يراه ذلك مشهد الطير صافات أرجلها وهي طائرة في الفضاء تسبح بحمد الله كل قد علم صلاته وتسبيحه والإنسان وحده هو الذي يغفل عن تسبيح ربه وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة"4

لم يكن مشهد الطير هو المشهد الوحيد الذي استخدمه القرآن دليلا على قدرة الله عز وجل، فقد لفت القرآن نظر الإنسان إلى ما هو أقرب من هذه الطيور في قوله تعالى: **"أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ"**[5]. والاستفهام هنا للإنكار والتعجب. أي ألم ينظروا نظر اعتبار. "فآية الله هنا مشهودة منظورة بين أيديهم ليست غائبة ولا بعيدة ولا غامضة تحتاج إلى تدبر أو تفكير إنها هذه الأنعام التي خلقها الله لهم وملكهم إياها وذللها لهم يركبونها ويأكلون منها ويشربون ألبانها وينتفعون بها منافع شتى

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج4: 2186

[2] . سورة النور آية 41

[3] . الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** ج4: 40

[4] . قطب، سيد: **"في ظلا القرآن"** ج5: 2522

[5] . سورة يس (71-72)

وكل ذلك من قدرة الله وتدبيره ومن إيداعه ما أودع من الخصائص في الناس وفي الأنعام فجعلهم قادرين على تذليلها واستخدامها والانتفاع بها وجعلها مذللة نافعة ملبية لشتى حاجات الإنسان"[1].

وفي هذه الآية بالإضافة إلى الاستفهام المجازي استعارة فالأيدي هنا جاءت للدلالة على قوة الله عز وجل وقدرته على الخلق. " فكأنه سبحانه قال: أولم يروا أنا خلقنا لهم أنعاما اخترعناها بقوة تقديرنا، ومتقن تدبيرنا.أو يكون المعنى أنّ هذه الأنعام مما تولّينا خلقه من غير أن يشاركنا فيه أحد من المخلوقين. لأن المخلوقين قد يعملون سفائن البحر ، ولا يعملون سفائن البرّ ، التي هى الأنعام المذللة ظهورها ، والمحلّلة لحومها. فهذا وجه فائدة الإضافة فى قوله تعالى : مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا. واللّه أعلم."2.

ونلاحظ أن التعبير القرآني قد استخدم الفعل (يروا) بعد أداة الاستفهام في الآيات السابقة والرؤية المطلوبة هنا هي النظر في القلب قبل العين. يقول صاحب القاموس المحيط: "الرُؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ"3. " فالقلب المؤمن هو القلب الشاعر ببدائع الخلق والتكوين المدرك لما فيها من روعة باهرة تهز المشاعر وتستجيش الضمائر وهو يعبر عن إحساسه بروعة الخلق بالإيمان والعبادة والتسبيح والموهوبون من المؤمنين هبة التعبير قادرون على إبداع ألوان من رائع القول في بدائع الخلق والتكوين لا يبلغ إليها شاعر لم تمس قلبه شرارة الإيمان المشرق الوضيء"4.

---

[1] . قطب، سيد: **"في ظلال القرآن"** ج5: (2975 -2976)

[2] . الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** 1986: (255 -256)

[3] . البستاني، بطرس:" **محيط المحيط"** مكتبة لبنان بيروت، 1977م: فصل الراء: 318

[4] . قطب، سيد: **"في ظلا القرآن"** ج4: 2186

علاقة نفسية متوارثة

لعبت الحياة الاجتماعية والموروثات النفسية دورا كبيرا في طبيعة صور الحيوان والطير في القرآن. فقد استخدم القرآن الخبرات الاجتماعية التي سادت في المجتمع العربي آنذاك، لإيصال رسائله إلى الناس أجمعين، وإبعادهم عن عالم الوهم والخرافة؛ وذلك لأن حياة العربي كانت مليئة بالبدع والخرافات والمعتقدات التي ورثها عن أجداده. فقد شكل البعد النفسي المرتبط بمظاهر الكون دورا مهما في رسم الصورة القرآنية، وكان التطير أوضح مثال على البعد النفسي.

وقد أشار القرآن الكريم إلى التطير في مواضع عديدة. **قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"**[1]. وكلمة طائر هنا كناية عن الشؤم. يقول ابن منظور: " قال الله عز وجل أَلا إِنَّما طائرُهم عند الله المعنى أَلا إِنَّما الشُّؤْم الذي يَلْحَقُهم هو الذي وُعِدُوا به في الآخرة لا ما يَنالُهم في الدُّنْيا وقال بعضهم طائرُهم حَظُّهم"[2].

والتطير شرك بالله نهى الله عنه في كثير من الآيات، من خلال الإشارة إليه في الحديث عن الأمم السابقة. فها هم أصحاب القرية يتشاءمون بالمرسلين لدعوتهم إياهم إلى دين غير ما يدينون به من كاتباعهم للكفر:**"إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ"**[3]. فيرد عليهم المرسلون بنفس الأسلوب قائلين: إنما شؤمكم بكذبكم وعصيانكم، وسوء أعمالكم. قال تعالى: **"طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ"**[4]. وكذلك فعل قوم صالح عندما أجابوا نبي الله قائلين**: " اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ"**[5].

---

[1] . الأعراف 131

[2] . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** مادة طير: مج4\ 511

[3] . سورة يس آية 18

[4] . سورة يس آية 19

[5] . النمل 47

في الآيات السابقة توجيه رباني إلى الناس أجمعين؛ لترك البدع والخرفات التي تنزل بتفكيرهم إلى أتفه المستويات. فالتطير عادة جاهلية لا يلجأ إليها سوى جاهل ضعيف وقد تحدثنا عنها كثيرا في الصورة المكررة من هذا البحث.

ولم يكن التطير وحده سيد الموقف في التوكل على غير الله عند الجاهليين، فمن عاداتهم الاستقسام بالأزلام. قيل إن الجاهليين كانوا إذا أرادوا القيام بعمل اعتمدوا على الأزلام. وقد وصل بهم الحدّ إلى استخدام الأزلام في تقسيم ما اشتركوا به من مشتريات. "فقد كان تقسيم لحم الذبيحة يتم عن طريق الأزلام، والأزلام جمع(زلم) بوزن(شَرَفْ) وهي عيدان وسهام تستخدم في ما يشبه القرعة لتقسيم لحم الذبيحة. فقد كان يشتري عشرة أنفار بعيرا ثم يذبحونه، ثم يكتبون على ثلاثة منها شيئا، ثم يجعلونها في كيس ثم يستخرجونها واحد بعد الآخر، كل واحدة باسم أحدهم فيأخذ كل واحد منهم من الذبيحة ما خرج له من السهم، وهكذا يقتسمون الذبيحة بينهم.[1]

يقول البغدادي: "كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا سفرا او تجارة أو نكاحا أو اختلفوا في نسب أو قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الأمور العظيمة جاءوا إلى هبل وهو أعظم صنم لقريش بمكة وكان في الكعبة ومعهم مائة درهم، فأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم وكانت أزلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتب على واحد منها: (أمرني ربي) وعلى واحد منها: (نهاني ربي) وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد (غُفل) أي ليس عليه شيء..."[2]

وقد نهى الله تعالى عن الاستقسام بالأزلام **بقوله: " وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ..."**[3]. ونهي الله عن الاستقسام بالأزلام هنا. هو نهي عن جميع الأعمال التي يتوكل فيها الإنسان على غير الله. "وأن تستقسموا بالأزلام بأن تطلبوا السعادة والكمال بالحظوظ والطوالع

---

[1] . السابق ج3: 68

[2] . البغدادي، محمود شكري الألوسي: **"بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب"** ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ج3\ 66

[3] . سورة المائدة آية 3

وتتركوا العمل وتقولوا: لو كان مقدرا لنا لعملنا فإنه ربما كان القدر معلقا بالسعى ذلكم فسق وخروج عن الدين الحق لأن فيه الأمر والنهى والاتكال على المقدر"[1].

وقد أملت البدع والخرافات على الجاهلي فلسفة عقائدية، جعلت منه إنسانا يجري وراء الموروث العقائدي دون التفكير بما يصدر عنه من تصرفات، حتى أصبح لسان حالهم يردد قولهم: **" بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"**[2] . ومن البدع التي أملتها عليهم فلسفتهم العقائدية الباطلة تحريم لحوم أنواع معينة من الحيوانات.[3] قال تعالى: **"مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ"** 4. ينهى الله في هذه الآية عن هذه البدع منددا بأصحابها، فهم من حرموا ما أحل الله بإرادتهم، وبمنتهى تفكيرهم. يقول البهيقي: "قال الشافعي رحمه الله حرم المشركون على أنفسهم من أموالهم أشياء، أبان الله عز وجل أنها ليست حراما بتحريمهم، وذلك مثل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانوا ينزلونها في الإبل والغنم، كالعتق فيحرمون ألبانها، ولحومها، وملكها"[5].

وقد كان للشيطان دور كبير في غرس مثل هذه المعتقدات قال تعالى على لسان إبليس: **"وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً"**[6]. جاء في تفسير الطبري: " (فليبتكن آذان الأنعام) قال: دين شرعه لهم إبليس كهيئة البحائر والسيب"[7].

---

[1] . الألوسي، محمود أبو الفضل: **"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"**:ج6\ 68

[2]. الزخرف آية 22

[3] . راجع مغنية، الشيخ أحمد: **"تاريخ العرب القديم"** ط1، دار الصفوة، بيروت، لبنان، 1994م: 138

[4] . سورة المائدة آية 103

[5] . البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر: **"سنن البيهقي الكبرى"** تحقيق: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994: ج10\ 9

[6] . سورة النساء آية 119

[7] . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل آي القرآن"**: مج4\ 282

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وبعد... هذه أبرز النتائج التي توصلت إليها في دراستي لصورة الطير والحيوان في القرآن أجملها على النحو الآتي:

1. رفع القرآن الكريم من قيمة الحيوانات والطيور، جاعلا هذه المخلوقات أمما لا تختلف في الحقوق عن بني البشر **قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"[1].**

2. إن دراسة صور الطير والحيوان في القرآن تمنحنا الشعور بلذة الصور الفنية، وتستدعي الوقوف على التعبيرات القرآنية الخاصة بهذه المخلوقات وقفة المتأمل المدرك لحقائق الأمور.

3. تنوع استخدام القرآن لألفاظ الحيوانات والطيور، وذلك تمشيا مع مضمون الآيات. فقد عرض الصورة المناسبة بأسلوب مناسب، يستدعي الوقوف مليّا أمامها.

4. اشتملت الصور التي رسمها الله للحيوان والطير في القرآن على أساليب بلاغية متنوعة، كان منها التكرار، والتشبيه،و الكناية، والاستفهام، والمجاز.

5. القرآن الكريم معجز في تنبيهاته المتكررة إلى حقيقة وجود كل من الطير والحيوان على سطح هذه الأرض. فإشاراته المتنوعة والمتكررة أغنت الأهداف والغايات المنوي إيصالها إلى البشرية.

6. كانت الصور المركبة التي اشتملت على الحيوانات أو الطيور من أروع الصور الفنية وأبلغها، وأشدها وقعا على النفس، ففيها يجد القارئ متعة الذوق الفني الذي يرمي بظلاله على الصورة فيزيدها جمالا.

---

[1] . الأنعام: 38.

7. سخّر القرآن الأبعاد الدينية والفنية والنفسية المرتبطة بصور الحيوانات والطيور، فجاء بالصورة منسجمة مع مضمون الآيات، دالة على أهدافها.

8. شكلت صور الحيوان والطير مادة فنية عكست عناية القرآن الكريم بمخاطبة عقول الناس كافة، والتحدث إليهم بأساليب تتمشى مع أفكارهم ومعتقداتهم، حيث كانت أكبر دليل على صدق القرآن وأحقية الله عز وجل في العبادة والتوحيد.

9. شكلت صور بعض الطيور والحيوانات رادعا قويا للمعاندين لدعوة الإسلام، فقد رُسمت بدقة، فخاطبت العقول تاركة لها القدرة على تمييز الحقيقة.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، وآخر دعواي أن الحمد لله الذي أنعم عليّ بإنجازها ومنّ عليّ بالرضا والتوفيق.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- ابن الأبرص عبيد: **ديوانه** دار صادر ودار بيروت 1964م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن"** تحقيق:محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الأصمعي، أبو سعبد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك: **"الأصمعيات"** ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط5 بيروت، لبنان.
- الأعشى: **"الديوان"** تحقيق وتقديم: كامل سليمان، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان.
- الأندلسي أبو حيان، محمد بن يوسف: **" تفسير البحر المحيط "** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 م.
- الباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب: **"إعجاز القرآن"**، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط5 دار المعارف.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله: **"الجامع الصحيح المختصر"** تعليق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت 1987م.
- البستاني، بطرس:**"محيط المحيط"** مكتبة لبنان، بيروت، 1977م.
- البطل، علي : **"الصورة في الشعر الجاهلي"** ط1 دار الاندلس للطباعة والنشر 1980م.
- البغدادي، محمود شكري الألوسي: **"بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب"** دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **"معالم التنزيل"** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م.
- البيضاوي، ناصرالدين أبي سعيد: **"أنوار التنزيل في أسرار التأويل"** ، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر: **"سنن البيهقي الكبرى"** تحقيق: محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994.
- الترمذي أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم: **"الأمثال من الكتاب والسنة"** تحقيق: السيد الجميلي، ط1 دار ابن زيدون، بيروت.

- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي: " ديوان الحماسة "، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1998م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "**الحيوان**" ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969م.
- الجرجاني، عبد القاهر: **"اسرار البلاغة في علم البيان"** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988م.
- ابن جعفر، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي**"غريب الحديث"** تحقيــق : د.عبــدالمعطي أمين قلعجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
- الجندي، علي: **"شعر الحرب في العصر الجاهلي"**، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: **تاج اللغة وصحاح العربية"** تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار الكتاب العربي، مصر.
- ابن حلزة الحارث، **ديوانه**،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،جمعه وحققــه وشــرحه: اميل بديع يعقوب، 2004م.
- الحوفي أحمد محمد: **أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي**: نهضة مصر، الفجالة.
- خان، محمد عبد المعطي: **"الأساطير العربية قبل الإسلام"**، القاهرة : 1937م.
- الدمشقي، شمس الدين محمد بن أبي بكر الذرعي: **" الأمثال في القرآن الكريم"**، ط1 مكتبة الصحابة، طنطا، 1986م.
- الدميري، كمال الدين: **"حياة الحيوان الكبرى"** دار القاموس الحديث، بيروت،لبنان.
- دوب، رابح: **"البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"** ط1 دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
- الرباعي، عبد القادر:**"الطير في الشعر الجاهلي"** ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1998م.
- ابن أبي ربيعة، لبيد " **ديوان لبيد ابن أبي ربيعة"** دار صادر، بيروت 1966م.
- الرضي، الشريف: **"تلخيص البيان في مجازات القرآن"** تحقيق وتقديم: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1986م.
- رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**: ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.
- الزبيدي، محمد مرتضى: **"تاج العروس"** دار ليبيا، بنغازي.

- الزرقاني، محمد عبد العظيم: **"مناهل العرفان في علوم القرآن"** ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م.
- زرزور، عدنان محمد: **"علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيـــان إعجـــازه"** ط1 المكتب الإسلامي، بيروت 1981م.

- الزمخشري، جار الله : **"الكشاف"** دار الكتاب العربي ــ بيروت 1407ه.
- .السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **"شرح أشعار الهذليين"** تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، مكتبة دار العروبة.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **"تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"** دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995م.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: **"إرشاد العقل السليم إلى مزايا القـــرآن الكـــريم"** دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن أبي سلمى، زهير: **"الديوان"** شرحه قدم له: علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.

- أبو سويلم، أنور: **مظاهر من الحضارة والمعتقد في الـــشعر الجـــاهلي**: ، دار عمـــار، الأردن، عمان، 1991م.
- أبو سويلم، أنور: **المطر في الشعر الجاهلي**: ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1987م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين: **" الدر المنثور"** ، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- ابن شداد، عنترة: **ديوانه** شرح: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيـــروت، لبنـــان، 2007م.
- شلبي، سعد إسماعيل: **الأصول الفنية للشعر الجاهلي**: مكتبة غريب، الفجالة.
- شرف، حفني محمد: **"التصوير البياني"** مكتبة الشباب، القاهرة:1970.
- الشعراوي، محمد متولي: "قصص الحيوان في القرآن"، ط1 دار أخبار اليوم، القاهرة، 1999م.
- الشنفرى، **"ديوانه"** إعداد: السليك بن السلكة وعمرو بن براق، ط1 دار صادر، بيروت 1996م.
- الشوكاني، محمد بن علي **"فتح القدير"** دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

- شيخو، لويس: " شعراء النصرانية قبل الإسلام" ط4، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991م.
- الضبي، محمد بن يعلي بن عامر بن سالم : **"المفضليات"** تحقيق: قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004.
- ضيف، شوقِي: **"العصر الجاهلي"** دار المعارف، مصر، 1960م.
- الطائي، حاتم: **"الديوان"**، شرحه: إبراهيم الجزيني، ط1، دار الكاتب العربي، بيروت 1968م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **"جامع البيان عن تأويل اي القرآن"** ج15، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر:"التحرير والتنوير" ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- عامر بن الطفيل، **ديوانه** تحقيق: هدى جنهو يتشي، ط1، دار البشير، عمان، 1997م.
- عباس، فضل حسن: **"قصص القرآن الكريم"** ط2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّـان، الأردن،2007م.
- ابن عباس، "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس" ط1، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، 1992م.
- أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي : **"البرهان في علوم القرآن"** تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
- ابن العبد، طرفة: **"الديوان"** شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط1، دار الكتـب العلمية، بيروت 1987م.
- ابن عبدة، علقمة **ديوانه** شرح وتقديم:سعيد نسيب مكارم،دار صادر، بيـروت، لبنـان: 1996م.
- العبدي، المثقب: **ديوانه** شرح وتحقيق: حسن حمد، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م .
- عصفور، جابر: **"الصورة الفنية في التراث الثقافي والبلاغي عند العرب"** ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.

- عطوان، حسين **: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي /** دار المعارف، مصر.
- علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"** ط1، دار العلم للملايين، بيروت 1970م.
- العسكري، أبو هلال: كتاب **"جمهرة الأمثال"** تحقيق : محمد أبو الفضل إبـــراهيم وعبـــد المجيد قطامش، ط2، دار الفكر،1988م.
- العشماوي، محمد زكي: **"النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية"** دار النهضة العربية، بيروت 1980م**.**
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد"مقاييس اللغة"تحقيق: عبد السلام هـــارون دار الفكـــر للطباعة والنشر، 1979م.
- أبو الفداء، اسماعيل بن عنم بن كثير: **"البداية والنهاية"** مكتبة المعارف، بيروت.
- أبو الفضل، محمود الألوسي**: " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو الفضل، محمود الألوسي:**"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"** دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: " **الجامع لأحكام القرآن"**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: 1967م.
- القزويني، الخطيب: " الإيضاح في علوم البلاغة"،شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- قطب، سيد: **" التصوير الفني في القرآن"** دار الشروق، القاهرة.
- قطب، سيد:**"في ظلال القرآن"** ج4، ط35، دار الشروق ، بيروت،2005م.
- القيس، امرؤ: **"الديوان"** دار بيروت للطباعة والنشر 1958م.
- القيسي، نوري: **الطبيعة في الشعر الجاهلي**: ط1، ، دار الأرشاد، بيروت، 1970م.
- القيسي، نوري حمودي**: "الفروسية في الشعر الجاهلي"**مكتبة النهضة العربية ط2 1984م.
- ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء اسماعيل:**"تفسير القرآن العظـــيم"** ، دار إحيـــاء الكتب العربية.
- لاشين، عبد الفتاح:**"البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم"**، دار الفكر العربي، 2002م.

- المعطني، عبد العظيم إبراهيم: "التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم"ج2،ط1 مكتبة وهبة، القاهرة 1999م.
- ابن معمر جميل **ديوانـــه** شرح: إبراهيم جزيني،ط1، دار الكتاب العربـــي، بيـــروت، لبنان:1968م.
- مغنية، الشيخ أحمد: "**تاريخ العرب القيم**" ط1، دار الصفوة، بيروت، لبنان، 1994م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **"لسان العرب"** دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م.
- الميداني: **"مجمع الأمثال"** ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.
- النابغة: **ديوانه** شرح: حمدو طماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، لبنان: 2003م.
- ناصيف مصطفى: "**قراءة ثانية في شعرنا القديم**"" دار الأندلس للطباعة والنشر ط2 1981م.
- الهاشمي، السيد أحمد: **"جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"** دار ابن خلدون، الإسكندرية.
- ابن هشام: **"السيرة النبوية"**، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد الحفـــيظ شلبي، ط2، مج1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

The Picture of Animal and Birds in The Holy Quran (Rhetorical Study)

Prepared by
Ahlam Abdullah Saleh Suleiman

Supervisor by
Prof. Khalil Odeh

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2012

The Picture of Animal and Birds in The Holy Quran
(rhetorical study)

By
Ahlam Abdullah Saleh Suleiman
Supervision
Prof. Khalil Odeh

Abstract

This study discusses the Picture of animals and birds in the Quran, according to the rhetorical approach that reveals the secrets of the Qur'an and miracles of expression in a graphical style, this study is characterized by its analytical and practical approach.

The study divided into three chapters in which the sequence and interdependence makes the reader pursue the subject from its origins until its branches, the chapters as the following:

1. Chapter I deals with talk about the animals and birds among the Arabs before Islam, which showed the used images of animal in the pre-Islamic poetry, and then moved to the image of birds, then formulate a relationship between these images and the life of Arab.

2. Chapter II dealt with the employment of the image in the Quran, by focusing on repeated images and the frequency words 'function on animal or birds, and the repletion of the special qualities which moves to a single image, metaphor, and symbols.

3. Chapter III dealt with the relationship is an indication to the content, by focusing on both the religious, esthetic , and social relationship.

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.